تهامة
TIHAMA

الكتاب العربي السعودي ٥٤

أحمد عبد الغفور عطار

قضايا ومشكلات لغوية

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

الكتاب العربي السعودي ٥٤

أحمد عبد الغفور عطار

قضايا ومشكلات لغوية

الطبعة الأولى
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م
جدة - المملكة العربية السعودية

بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر
تهامة
جدة - المملكة العربية السعودية
ص.ب ٥٤٥٥ - هاتف ٦٤٤٤٤٤٤

قضايا
ومشكلات لغوية

فهرس الموضوعات

مقدمة

أكثر فصول هذا الكتاب أحاديث أذيعت منذ بضعة شهور من الاذاعة السعودية إلا حديثا لمجلة « الفيصل » نشرته منذ سنتين ، وإلا بضعة فصول أخر نشرت ببعض الصحف قريبا ، وإلا فصولا معدودات لم يسبق نشرها .

وكل ما فى هذا الكتاب وقف على اللغة وبعض قضاياها ومشكلاتها ، وما قُذِفَتْ به من تهم وأباطيل من قِبَلِ أعداء العربية الذين هم أعداء القرآن والاسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام ، وقد رددنا عليهم وفندنا أباطيلهم ، وأثبتنا أن كل دعاواهم قائمة على الباطل والبهتان .

وإذا كان أكثر هذه الفصول ثمرة رجاء الأستاذ حسين العسكري مدير إذاعة جدة الذى أجبرتنى مكارم أخلاقه على أن ألبى طلبه فأكتب له أكثر هذه الفصول ، فإن صدور هذا الكتاب ثمرة رجاء مؤسسة « تهامة » التى تعد من أكبر دور النشر فى العالم العربي ، وإن كانت أكبر دار نشر ببلادنا .

ومزيّة « تهامة » أنها لم تحترف نشر الكتاب طمعا فى ربح ، وإنما كان نشر الكتاب رسالة تضطلع بها نشرا للمعرفة والثقافة ، وخدمة للكتاب السعودي ، وإن كان ذلك كلفها مئات الآلاف خسرتها ، ومع ذلك تستمر فى أداء الرسالة ، وما يراه الناس خسارة

تراه تضحية وقربانا تقتضيها الرسالة .

ولا عجب أن تكون مؤسسة « تهامة » بهذه الخليقة الكريمة الفاضلة ، فمن أسسوها حسبوا حساب التضحية ، وليست هي بخسارة فى مفهومهم .

أليس فى الشر مزاج ؟ بلى ، إن لاعب القمار يعلم أنه سيخسر ، ومع ذلك يستمر فى اللعب ، وقد يخسر مئة مرة أو أكثر ، فاذا سألته وأنكرت عليه أجاب : إنى أعلم أننى سأخسر ، ومع ذلك ألعب ، لأن المسألة مزاج .

فاذا كان فى الشر مزاج أفلا يكون فى الخير مزاج ؟ بلى .

كذلك الأمر بالنسبة لمؤسسة « تهامة » التى رضيت بالتضحية التى ستثمر بمشيئة الله ما يعوض الخسارة مقرونا بالغنم الأدبى وعرفان الأمة لها بالجميل .

ولقد أخصبت المكتبة السعودية أيما إخصاب بجهد تهامة ، فأخذنا نتخير من الأطايب ما نرجو ، وقد قيل : من أخصب تخيّر .

وقد استطاعت تهامة خلال وقت قصير كل القصر أن تعطى القراء على مختلف أعمارهم وميولهم سبعين كتابا فى مختلف فنون المعرفة .

ومنذ خمس سنوات طلب إلي الأستاذ الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع وزير الحج والأوقاف أن أكتب له « تقريرا » فى نشر التراث الذى تحفل به مكتباتنا بمكة المكرمة والمدينة المنورة حرسهما الله ، لأن معاليه يود أن تعنى وزارته بهذا الأمر الجليل ، فكتبت له رأيى ، مبتهلا الى الله أن يوفق الوزير لما يصمد له بفضله وكرمه .

والآن وقد برزت الى الوجود مؤسسة « تهامة » العملاقة الضخمة فإن تحقيق مأمل معالى وزير الحج والأوقاف ليس بعسير إذا اشتركت تهامة التى استطاعت فى زمن يسير أن تعطى العطاء الثرّ الكثير .

وإذا كانت دور نشر أجنبية تضخمت من عطاء مملكتنا ، واغتنت من تعاملها مع بعض الوزارات والمؤسسات السعودية فإن خير بلدنا يجب أن يكون من نصيب أبنائه

المخلصين على الدوام ، لا الذين يحزنون لفرحنا ويفرحون لحزننا ، ويصفوننا بما نكره وهم كاذبون ، وفيهم أصحاب لى .

إنهم يتظاهرون بحبنا ، فاذا خلوا الى أنفسهم سخروا بنا وبأمتنا وحكومتنا .

والمؤسسة الوطنية المخلصة أحق بأن يكون الغنم من نصيبها ، لأنه حقها الشرعي .

وإذا كانت تلك الوزارات والمؤسسات فى حاجة الى كتب ملكت دور النشر الأجنبية حق طبعها ونشرها فأرى أن يتم التعامل معها بوساطة المؤسسة السعودية ليكون لها النصيب الأوفى من الربح .

وإذا كانت من كتب التراث ففى وسع المؤسسات السعودية تحقيقها من قبلها ثم طبعها ليكون الربح للوطن وأبنائه .

وأرى أن تحصل مؤسسة تهامة على امتياز توريد أي كتاب غير سعودي تكون الحاجة اليه حتى لا يستأثر الأجنبي بالمغنم ويذهب وحده به .

أعرف ناشرا كبيرا تجمعني به صلة مودة وثيقة ، وذات يوم أخذ يفترى على حكامنا فرددت عليه وخاصمته ، وكتبت رأيى لحكومتي .

ومثل هذا لا يهمه منعه من دخول بلادنا ، وكل ما يهمه أن تصل إليه الغنائم والأرباح ، وهى تصل اليه وهو فى بيته وببلده ، وحرام أن ندعه يسمن من لحومنا ويرتوى من دمائنا ، بل يجب أن نمنع وصول الغنائم والأرباح اليه بمنع منشوراته من دخول بلادنا ، وأن نفطن للحيل والخداع .

وما يزال هذا الناشر اللئيم يثرى على حساب بلادنا ، ويغرق أسواقها بمنشوراته ، وأرجو من وزارة الاعلام أن تمنع التعامل مع الدار التى يملكها هذا الناشر الزنيم .

وأعرف كثيرا من دور النشر والمطابع فى العالم العربي ، وفيها دور نشر وطباعة أثرت من بلادنا وحكومتنا وأمتنا ، ومازالت تثرى ، وكان ردها للجميل نكرانا وتنكرا

وذما وتجريحا ، ويجب أن نقطع عليهم هذا الطريق ، لأننا نأبى أن نتهم بالغفلة ، وأن نعامل على أساس المثل العامي « حسنة وأنا سيدك » .

الجمعة ١٨ رجب ١٤٠١ هـ
٢٢/٥/١٩٨١ م

أحمد عبد الغفور عطار
مكة المكرمة

حديث إلى مجلة الفيصل

- حاجة المبدع فى الأدب إلى اللغة
- دور اللغة فى فن الأدب والكتابة
- إرتباط اللغة بالإنسان ضعفا وقوة
- دعوى العربية لغة بداوة انتهى عصرها ودورها
- هل أدت المجامع اللغوية دورها ؟
- هل العربية فى حاجة إلى مساعدة السلطة ؟
- إنشاء مجمع لغوي سعودي
- لا أجيز غير الشعر الفصيح
- محاولة إحياء أي ضرب من ضروب العامية خطأ
- العربية تتسع لمختلف الآداب والعلوم والفنون
- أهناك فرق بين القواميس القديمة والحديثة ؟
- هل فكرت فى تأليف معجم ؟
- مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة
- الأندية الأدبية
- الاستشراق والمستشرقون

حاجة المبدع في الأدب إلى اللغة

ج ١ - من البديهيات أن نقول : اللغة هي الفكر . وهي الأداة التى نعبر بها عن كل ما نريد التعبير عنه سواء أكان فى الآداب وبعض الفنون والعلوم والفلسفة . ونقول بعض الفنون لأن منها ما يعبر عنه بغير الكلمة مثل الرسم والموسيقى .

أما أن حاجة المبدع فى الأدب إلى اللغة أقل من حاجة العلماء الباحثين إليها فذلك زعم غير صحيح . فالعلماء الباحثون يبدعون . مثلهم مثل الأدباء والشعراء والقصاصين . فهم سواء فى الحاجة إلى اللغة . وقد يكون الأديب أكثر حاجة من العالم إلى التضلع فى اللغة . فشكسبير فى الانجليزية . وشوقي وعلي محمود طه في العربية كانوا يملكون ثروة لغوية كبيرة تتكافأ مع ثروة مصطفى مشرفة وانيشتاين ، بل تزيد ثروتهم عن هذين العالمين فى اللغة .

وزعْم الزاعمين أن المبدع الفنان فى غير حاجة إلى ثروة ضخمة من اللغة . وإنما يكفيه القليل منها زعمٌ ينقضه الواقع . فالفقير فى اللغة فقير فى العاطفة والاحساس . والغني فيها غني فيها . فامرؤ القيس كان غنيا فى اللغة . ولهذا كان غنيا فى العاطفة .

وكلما ازدادت ثروة الأديب اللغوية ازداد إبداعه فى التعبير . فالطفل ـ مثلا ـ محدود فى صوره البيانية . لأن محصوله من اللغة ضئيل . والعامي كذلك . وكلما كبر الطفل اتسعت مداركه ومعارفه باتساع أفقه اللغوي .

فالفقير فى اللغة سواء أكان أديبا أم عالما فقير فى إبداعه . فقير فى عاطفته . فقير فى صوره الفنية .

وهذا طبيعي . فإذا كان الأديب يملك من اللغة عشرة آلاف كلمة كانت لديه عشرة آلاف صورة . فإذا قل أو كثر محصوله تبع ذلك الصور والمعاني قلة وكثرة .

وتوفيق الحكيم ومحمود تيمور مبدعان . وكل منهما ذو ثروة لغوية ضخمة . ولذلك كان ذا اثراء عظيم فى المعانى والصور . ولم يدعياها أو أمثالها تلك المقولة التى لا يدعيها الا الضعفاء فى الإبداع .

والضعيف لا يكون مبدعا . لأن الإبداع وليد القوة .

ولم يمر بي فى اللغات الأخرى مقولة هؤلاء فى العربية . فمحمد إقبال شاعر باكستان الأكبر وأديبها الأعظم وفيلسوفها . و« طاغور » شاعر الهند وأديبها وفيلسوفها إمامان كبيران فى لغاتهما . فكلاهما غني فى مفردات لغته . وعليم بقواعدها وفُصَحها ونوادرها وقواعد الإملاء . ومن أبلغ ما كتب فى تلك اللغة .

وكذلك الأمر فى المبدعين فى كل لغة . ولا تجد مبدعا فى الأدب بكل فروعه إلا وهو غني فى مفردات لغته . وعليم بقواعدها وقواعد الإملاء فيها . فمقولة من يزعمون أن حاجة المبدع فى الأدب إلى اللغة أقل من حاجة العالم الباحث باطلة ومردودة . لأن العالم محدود نطاقه بحدود العلم الذي برّز فيه . أما الأديب أو القصاص المبدع فنطاقه أبعد آفاقا ودنياه أكثر اتساعا . وذلك يقتضيه أن يكون ذا ثروة لغوية جدّ ضخمة .

فقصص توفيق الحكيم ـ مثلا ـ تحوى نظريات واراء فى الفلسفة والاجتماع وعلم

النفس وغيره من العلوم والفنون والفلسفات . وقد نجد فى أقصوصة من أقاصيصه متسعا لعلوم وفنون مختلفة . ومن الشواهد على ذلك مسرحيته التى بعنوان « اللص » وعشرات من مسرحياته الصغيرة .

وما إبداع اصحاب تلك المقولة ؟ هات واحدا منهم وانظر أي ابداع لديه . وأرنيه .

إذا كان لديه إبداع فهو مأخوذ عن غيره . أو هو قليل ونادر مثل ما نجد عند العامة من إبداع منبثق من الفطرة والسجية .

س ـ دور اللغة في فن الأدب والكتابة ؟

ج ـ اللغة هي الأساس . ومن غيرها لا وجود لفن الأدب والكتابة . فانسان الغابة أو الهمجي المتأخر فى اللغة لا نجد لديه أدبا ولا شعرا ولا نثرا . وإنما نجد فن الأدب والكتابة حيث تكون لغة . ثم نجد أدب اللغة المحدودة أدبا محدودا . وأدب اللغة الحية العظيمة مثلها عظما وحيوية .

ومن مهام اللغة أن تربي في صاحبها الذوق وتحيي الملكة . وتأثير الكلمات أمر مقرر لا اختلاف فيه . فكلمة « الثأر » وكلمة « الدم » تؤثران فى البيئة التى تعيشان هي ومثيلاتها فيها . فنجد أصحابها يألفون منظر الدم المراق والقتل والاعتداء . ويهون لديهم إزهاق الأرواح .

وفى البادية والأرياف حيث تقل الأشواق العليا والثقافة الدينية . وتمرح فيها كلمات الثأر والدم والقتل . وتقل مفردات اللغة التى يستعملونها يألفون القتـل . وترخص عندهم الأرواح .

فإذا كثر محصول بيئة من البيئات في مفردات اللغة اقترن بهذه الكثرة تمدن هذه البيئة وشيوع مكارم الأخلاق فيها .

فاللغة تتحكم في أصحابها . فإذا كان لكلمات الثأر والدم فى البادية أثر سيئ فإن

لكلمات السلام والمحبة والخير والجمال أثراً حسناً فى البيئات المتحضرة .

فاللغة تربى الذوق وتحيي الملكة . وكلما كثر غنى الانسان في اللغة كثرت مزاياه . والأديب أو الكاتب الغني بمفردات لغته . والمتمكن فيها نجد عنده هندسة بناء الجملة والتراكيب هندسة رائعة . والشواهد على ذلك من ذكرناهم مثل الحكيم وتيمور وشوقى وعلى محمود طه ومحمد اقبال وطاغور وغيرهم .

فهؤلاء لما كانوا أثرياء فى اللغة كانوا أثرياء فى الاحساس . وبلغوا في هندسة بناء الجملة الذروة العليا .

والفوارق كثيرة بين الأغنياء الأقوياء فى اللغة والفقراء الضعفاء فيها تبدأ من الاسم . فالغني أعظم من الفقير . والقوى أكبر من الضعيف . وتدين المجتمعات وتتطور بالقوة والغنى لا الضعف والفقر .

فالغني فى لغته يكون أقدر على استعمال المفردات وعلى التصرف فيها . ويكون أكثر إبداعا فى هندسة بنائه . وطبيعي أن يكون الإبداع من نصيب الغني القادر . وعندما يجتمع للانسان الغني والقدرة يكون نصيبه من الإبداع أكبر . ويكون أسلوبه رائعا وجميلا وقويا .

وتكافؤ المواهب طبيعي . فالأديب الثري في لغته أقوى من الفقير الضعيف . وكل المبدعين فى الأدب فى جميع اللغات هم أثرياء أقوياء فيها . والفقراء الضعفاء فيها هم غير المبدعين . لأن الابداع نتاج الملكة الغنية القوية .

ومن كان فقيرا ضعيفا فى لغته لا يمكن أن يسلس له الإبداع قياده . لأن الإبداع نفسه قوة وثراء . ولا يمكن أن يكون الإبداع نتاج الضعف والفقر .

إن الضعيف الفقير في لغته ضعيف في ملكاته . فقير في قدراته . ضعيف في أسلوبه . وفقير فى معانيه وصوره البيانية . ضعيف فى ثقافته ومحصوله العلمي والأدبي والفني .

ومما لا شك فيه أن الضعيف في لغته ضعيف في ثقافته وفي تعبيره . وضعيف الارتباط بتراثه كله .

والقوى الثري فى اللغة أصح فكرا من الضعيف الفقير فيها . وأكثر فهما لما يقرأ . وأسهل هضما . وأعظم استيعابا . وأشد تمثيلا للغذاء . وأقدر على الاستثمار والابتكار والعطاء .

واللغة قد حددت المعاني . ومن الألفاظ ما يتفق القوي والضعيف في فهم معانيها فى حدود الظاهر . فهما لا يختلفان في أن الضعف مرض . والفقر هبوط .

س ـ ارتباط اللغة بالانسان ضعفا وقوة ؟

ج ـ نعم . ترتبط اللغة بصاحبها قوة وضعفا . فعندما كان العرب أقوياء كانت لغتهم قوية ابتكروا آلاف الكلمات والمصطلحات . ومئات العلوم . واتسعت لغتهم لكل جديد مهما كان مصدره . ولم تضق قط بحديث .

ابتكروا فى الدين علوما كثيرة . مثل أصول الفقه والحديث . وفى اللغة النحو والصرف والبلاغة والعروض والمعاجم . وفى ميدان العلوم أوجدوا علوما كان العالم كله عالة على العرب الأقوياء فى لغتهم .

ولما ضعف العرب أصاب لغتهم عدوى ضعفهم . وفقدت شيئا كثيرا من قوتها وحيويتها . وزاد من ضعفها محاربة أعدائها اياها .

ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه حفظ لغتها فلم يستطع الأعداء من النيل منها . بل انهزموا فى كل الميادين . انهزموا فى ميدان الدعوة الى اتخاذ العامية بدلا عن الفصحى . وفى ميدان الدعوة الى إلغاء الإعراب . وفى استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي . إلى غير ذلك من دعوات هدم الفصحى .

س ـ ما دمتم ذكرتم العامية ومحاربة الفصحي فما رأيكم فيمن يزعمون أن اللغة العربية لغة بداوة وقد انتهى عصرها ودورها ؟

ج ـ هذه دعوى أعداء القرآن . ومن أشدهم حقدا سلامة موسى الذى أطلق القذائف على القرآن والاسلام ولغتها . وزعم أن الفصحى لغة ميتة . ويجب أن نستبدل بها العامية .

وليس بغريب على سلامة موسى صدور هذه الدعاوى فهو صليبي حاقد متطرف وما قدم داعية دليلا على فساد دعوته مثل ما قدم سلامة موسى . فهو الذى أفنى حياته فى الدعوة الى العامية لم يكتب قط بالعامية . فهو واثق أن العامية لا تصلح لأن تكون لغة الكتاب والعلم . ولكنه يدعو اليها ليباعد بين الاسلام وأهله والعرب ولغتهم .

وإذا كنا لا نستغرب صدور الدعوة الى العامية من سلامة موسى ودعواه موت العربية وفقدانها الصلاح لهذا العصر فان مما يستغرب له تأييد بعض العرب المسلمين تلك الدعوى الهدامة .

فالمسلم الذى يؤيد زعم اعدائه فى فقدان العربية الصلاح لأن تكون لغة هذا العصر مرتد . لأن هذا الزعم يشمل القرآن الكريم . وحسب دعواهم : لا يصلح القرآن لهذا العصر .

وهذا كفر وارتداد . فالقرآن الكريم صالح بلغته وبكل ما حوى لكل زمان ومكان .

س ـ هل أدت المجامع اللغوية دورها ؟

ج ـ المجامع اللغوية تضطلع بمهام ضخمة . وهي تؤدى واجبها بالقدر الذى تتسع له قدرتها . أما الانتفاع بجهودها كما تتوخى المجامع فليست التبعة عليها . فالله سبحانه وتعالى يأمر بالخير كله . ومع هذا يعصونه وهو خالقهم . والله عز وجل يقول : (وما قدروا الله حق قدره) فاذا كان الخلق لا يقدرون خالقهم ورازقهم فلا تعجب من المشتغلين بالعربية إذا لم ينتفعوا بجهود المجامع .

إنها تعطيهم على الدوام . ولكن الناس لا ينتفعون بهذا العطاء . فلا تبعة على المجامع . وإنما التبعة على الناس .

وبعض الصحف العربية الهدامة تسخر من المجامع اللغوية وتختلق عليها الأكاذيب لتنفر الناس منها . ومن ذلك زعمها أن المجمع اللغوى المصري وضع للساندوتش هذه الجملة : « الشاطر والمشطور بينهما الكامخ » وتناقلتها الصحف فى العالم العربي كله . واخذت « تتريق » على مجمع مصر اللغوي الذى نسبوا اليه تلك الجملة .

وهذه الفرية وغيرها مما أطلقته الصحف وليدة أعداءالفصحى ،أرادوا من بهتانهم تشويه سمعة المجامع اللغوية التى لا تملك ما يساعدها على نشر نشاطها على نطاق الجماهير .

وأعتقد أن المجامع اللغوية قد نجحت فى مهامها . فقد أوجدت آلاف المصطلحات فى الآداب والعلوم والفنون والفلسفة . ولكن الانتفاع بها ضئيل كل الضآلة . ولم يكن الانتفاع بها بالقدر الذى أرادته المجامع . فهي لم تعرف بين الجماهير لأن من وضعت لهم تلك المصطلحات لم يهتموا بها ولم يقبلوا عليها فبقيت محصورة فى رسائل المجامع ومجلاتها التي لا نجدها فى السوق مع المجلات الأخرى .

أنا نفسى أحد حماة الفصحى المشتغلين بالعربية . وأود الحصول على صحف المجامع . ولكنى لا أجدها فى أسواق بلدى بل لا أجد فى أسواق القاهرة مجلة المجمع اللغوى المصري . وكذلك الأمر فى مجلة مجمع دمشق ومجمع بغداد .

فإذا كنت أنا المشتغل بالعربية لا أستطيع أن أجد مجلات المجامع وأنا الحريص عليها فغيرى لا يجدها . وعلى المجامع « مسؤولية » فى هذا . لأنها لا تهبط الى السوق والناس .

والمصطلحات تخص العلماء والأدباء ومعاهد العلم والكليات والجامعات . ومع هذا لا تجد الاهتمام . فهذه المعاهد العلمية والكليات والجامعات لا تنتفع بالمصطلحات .

ولا نجد لها أثرا في الكتب والرسائل التى تؤلف من قبل أساتيذ المعاهد والكليات والجامعات .

فإذا كان هؤلاء لا يهتمون ولا يعممون تلك المصطلحات فمن يهتم ؟ إذا كان أهل الشيئ يضيعونه فغيرهم له أضيع .

وبهذه المناسبة أذكر أن ما خصص لمجامع اللغة لا يذكر لضآلته فالمجمع اللغوي المصري ـ وهو أقدم مجامع اللغة العربية ـ على سبيل المثال لا يملك من المال ما يتيح له نشر نشاطه على نطاق العلماء والجماهير . ولو كان يملك المال لكان الانتفاع بجهود المجامع محققا وعلى نطاق واسع .

س ـ هل اللغة العربية فى حاجة إلى السلطة لكي تنتشر وتقوى ؟

ج ـ نعم . فعندنا ونحن البلاد العربية الأصيلة تنتشر العامية . ونجد اللافتات مكتوبة بلغة غاية فى الركاكة . ونجد الكلمات الأجنبية منتشرة انتشارا واسعا . ولو اهتمت السلطة باللغة العربية لاستطاعت أن تحد من طغيان هذا الزحف على لغة القرآن والاسلام . ولاستطاعت أن تعمل على انتشارها وعلى سيادتها .

جوازات سفرنا مكتوبة بالعربية لغتنا ولغة بلادنا . وبالانجليزية، وكل الجوازات فى العالم العربي مثلنا . ولو خلت جوازاتنا من اللغة الأجنبية لما قبلتها منا الدول الأجنبية . ولما سمحت لنا بدخول أقطارها .

أما « الأجانب » الذين يدخلون بجوازاتهم المكتوبة بلغاتهم بلادنا العربية فلا إثم عليهم ولا حجر ولا ملامة . بل ترحب بهم السلطة .

والمقابلة بالمثل شريعة متبعة تعترف كل الدول بها إلا فى البلدان العربية . فهم لا يعترفون بها . ولهذا اضطرت الدول العربية أن تكتب الجوازات بالعربية وباللغة الأجنبية .

ولما كانت المقابلة بالمثل شريعة متبعة فإن على الدول العربية أن تشترط على

الدول الأجنبية أن تكتب جوازات سفرها بالعربية أيضا إذا كان حاملوها يريدون دخول بلدان العربية . وإلا وجب أن تخلو جوازات سفرنا من غير العربية .

وهذا مما يجعل لغتنا العربية مهينة ، ورضينا نحن بهوانها ، لأننا لم نطالب بحقها وحقنا ، ولم نفرض على غيرنا احترامها أو الاعتراف بها كما فرضوا علينا احترام لغتهم والاعتراف بها .

س ـ أأنت ممن يدعو الى إنشاء مجمع لغوى سعودي ؟

ج ـ نعم ، ولعلى أسبق من دعا الى إنشاء مجمع لغوي سعودي ومن هذا السبق انني عندما كتبت مقدمة « تهذيب الصحاح » للزنجاني المطبوع سنة ١٣٧٢ هـ طلبت ودعوت الى إنشاء مجمع لغوي سعودي ، فأصحاب اللغة الأصلاء الألى أخذت عنهم الفصحى هم من قبائل الحجاز ونجد كقريش وتميم ، وعرب المملكة السعودية اليوم هم أبناء أولئك العرب ، فنحن أجدر أقطار العربية بوجود مجمع لغوي فيها .

وإذا كانت مصر ثم الشام والعراق أسبق منا فى هذا السبيل فإن من الفرض أن يقوم فى بلادنا مجمع لغوي سعودي يشارك المجامع الأخرى جهودها المثمرة .

وإذا كان الأردن البلد الصغير بسكانه وموارده الكبير بفتوحه العلمية والأدبية واللغوية قد أنشأ مجمعا لغويا فقد وجب ألا نتخلف عنه . وصدق الشاعر العربي المتنبي إذ يقول :

ولم أر فى عيوب الناس عيبا كنقص القادرين على التمام

ولا عذر لنا فى هذا التخلف ، فالمال كثير ، ولدينا جامعات كبيرة استطاعت خلال عقد من السنين أن تسبق جامعات سبقتنا فى الوجود .

وحكومتنا ستستجيب اذا تقدم المشتغلون باللغة فى بلادنا بطلب إليها ، ولتكن من « فتوحات » مجلة « الفيصل » أن تقوم بدعوة اللغويين والأدباء الكبار والعلماء إلى اجتماع يقررون فيه انشاء مجمع لغوي سعودي، ويقدمون طلبا الى الحكومة فى شخص

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير فهد بن عبد العزيز نائب رئيس مجلس الوزراء وولي العهد .

ومعروف عن الأمير فهد انه من الغُيُرُ على العربية . وقد سبق عندما كان وزيرا للمعارف أن عني بوضع مناهج تدريس اللغة العربية وكتب فى سنة ١٣٧٥ هـ (١٩٥٦ م) مقدمة معجم « الصحاح » للجوهري الذي حققته . والصحاح أصح معجم فى اللغة العربية .

وقد تحدثنا الى سموه غير مرة عن إقامة مجمع لغوي سعودي فأبدى قبول الفكرة وتأييدها . ووقع القصور منا .

فهل تنهض « الفيصل » بالدعوة الى هذا العمل العظيم ،أرجو أن تنهض وهي باذن الله قادرة وموفقة .

س ـ هل أنت من المؤيدين لإحياء أي نوع من أنواع الشعر النبطي ؟

ج ـ لا . لست من المؤيدين ؛ فأنا لا أجيز غير الشعر الفصيح . وليس ما يسمى الشعر النبطي إلا شعرا باللغة العامية . وأنا خصم العامية . فالشعر المسمى عندنا « الشعر النبطي » هو نفسه المسمى فى مصر « الزجل » وكلاهما باللغة العامية . ومادام العامة موجودين فلا حجر أن ينظموا بها أشعارهم . وفى بعض الشعر العامي فى مصر ولبنان والحجاز ونجد والشام والأردن وغيرها صور تعبيرية رائعة .

ولكن . لا يحملنى وجود هذه الروعة فى بعض الشعر العامي أن أدعو الى تدوينه والترويج له . لأننى لا أوافق على أن أعمل على إيجاد ما يزاحم لغة القرآن .

س ـ إذن . ما رأيك فيمن يحاولون إحياء أي ضرب من ضروب العامية عندنا أو عند غيرنا فى أقطار العروبة ويقدمون الحجج فى تأييد محاولة الإحياء ؟

ج ـ ليس ما يقدمون حججا . وإنما هي أعذار يسوغون بها الخطأ وإن كانت الأعذار تبدو فى ثوب الحجج . وهي فى حقيقتها أعذار والعذر عن خطأ . فدعاة إحياء الشعر

العامي أو الاهتمام به مدركون أن في ذلك خطأ . فهم يقدمون الأعذار في ثوب الحجج .

ومعروف موقفي من العامية . فأنا لا أجيزها ولا أوافق عليها . ولا أرضى أن يكون بجانب الفصحى ما يزاحمها ويعارضها .

وخصوم الفصحى عندما دعوا الى اتخاذ العامية بدلا عنها قدموا بين يدي دعوتهم حججا تبدو لأول وهلة حججا قوية خداعة حتى ليظن كثير من الناس أن مقصد الدعاة حسن يريدون من دعوتهم الشعب . فهم يريدون اتخاذ العامية لغة الشعب حتى يفهم الآداب والعلوم والفنون . لأن الأكثر الشعب . أما متخذو الفصحى فشواذ . والشاذ لا يذهب بالحق كله . بل لا حق له بجانب حق الشعب .

وهذه حجة مبنية على المغالطة . فالحضارة لا يبنيها العامة . بل الخاصة . واليهم المرجع في الحكم . ولا أقصد بالحكم ما يعرفُ عن الحكومة . بل الحكومة يتولاها الخاصة لا العامة .

وهبوط الأعلياء في الأدب واللغة والكتابة سبة للشعب الذى هم منه . وتـزداد السبة شناعة اذا خلا منهم .

وهؤلاء الدعاة يعرفون أن كل شعوب العالم ليسوا أعلياء في اللغة والكتابة . وإنما الأعلياء ندرة فيهم . ولم يخرج من الشعب دعاة إلى العامية وأدبها إلا في العالم العربي . ولم تصدر الدعوة من أساسها من عرب مسلمين . بل صدرت من بعض الألمان والانجليز .

ونعود الى الشعر العامي ومنه ما يسمى الشعر النبطي لأقر أني لا أجيزه ولا أقرؤه إلا نادرا وبخاصة بعض الزجل المصري واللبناني .

س ـ هناك ما يسمى لغة الصحافة ولغة الإعلام ولغة الأدب .. الخ فما رأيكم في ذلك ؟

ج ـ لغتنا العربية تتسع للصحافة والإعلام والأدب والعلم والفن . ولغة كل ذلك العربية .

أما هذه اللغة المستعملة فى صحافتنا فهى عربية إلا أنها ليست اللغة العربية الصحيحة السليمة ، بل هي اللغة المريضة فأكثر كتاب الصحافة فى بلادنا وفى العالم العربي لا يحسنون قواعد اللغة والكتابة . ولهذا كانت الكتابة الصحفية ركيكة ومزدحمة بالخطأ النحوي والصرفي واللغوي والإملائي .

فما ينشر فى الصحف أقرب الى العامية .

وأنا لا أكلف كتاب الصحف أن تكون لغة ما يكتبونه عالية كلغة الجاحظ أو طه حسين أو عبد القدوس الأنصاري أو فى أساليبهم القوية المشرقة . بل أطلب إليهم أن يلتزموا بقانون العربية عندما يكتبون بها . ويجب أن يعرفوا هذا القانون فلا يرفعون التمييز والحال ولا ينصبون الفاعل أو المجرور . ولا يجمعون المفرد جمعا غالطا .

فاذا جهلوا قواعد العربية والإملاء فان كتابتهم تكون غالطة . وحينئذ لا تكون سليمة صحيحة . وعندئذ تكون كتابتهم عامية . لأن العامة لا يتقيدون بقانون الفصحى . ولهذا كانت كتابتهم عامية غير فصيحة .

س ـ بالنسبة للقواميس ، هل هناك فرق بين القواميس الموضوعة قديما والموضوعة حديثا ؟ وأي القواميس أسهل للباحث عندما يريد معنى كلمة ؟ القديمة أم الحديثة ؟.

ج ـ أولا . أحب أن أذكر لك أن القاموس ليس مرادفا للمعجم . فالقاموس اسم معجم لغوي عظيم ألفه الفيروزأبادي المتوفى سنة ٨١٦ هـ ولشهرته جعله كثير من الناس وبينهم علماء مرادفا للمعجم . وليس القاموس بمرادف للمعجم .

ومناهج تأسيس المعجمات قديمة . ومؤلفو المعجمات الحديثة لم يبتكروا منهجا جديدا . بل هم ساروا على منهج عرف منذ ألف سنة .

ومدارس المعجمات العربية أربع :

المدرسة الأولى ـ مدرسة الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٥ مبتكر علم

العروض . ومعجم « العين » أول معجم الف فى العربية . ومنهجه على الحروف حسب مخارجها . مبتدئا بحروف الحلق . مفتتحا بكتاب العين . وأطلقه على معجمه وابتدأ بالعين لأنه أبعد الحروف مخرجا .

وإذا ذكر الكلمة ذكر مقلوباتها . مثل كلمة « بحر » يذكر معها برح . رحب . ربح . حبر . حرب .

المدرسة الثانية ـ مدرسة أبى عبيد القاسم بن سلام . وتوفي بمكة حرسها الله سنة ٢٢٣ هـ .

وبنى معجمه على المعاني والموضوعات . فيذكر فى السلاح أو العسل . أو خلق الانسان ـ مثلا ـ ما وصل الى علمه من الكلمات مع شرح معانيها .

المدرسة الثالثة ـ مدرسة أبى نصر اسماعيل بن حماد الجوهري المتوفى سنة ٣٩٣ هـ وقيل : فى حدود الأربعمئة .

وأساس هذه المدرسة ترتيب الكلمات باعتبار أواخرها . ثم النظر الى الترتيب الهجائى عند ترتيب الفصول . وسمى الأول بابا . والثاني فصلا . فكلمة « فصل » تجدها فى باب اللام . لأنها آخر حرف فيها . وتقع فى فصل الفاء لأنها مبدوءة بها .

والجوهري مبتكر منهج الصحاح دون منازع . وقد خطا بالتكليف المعجمي أوسع خطوة عرفها تاريخ المعجمات العربية .

المدرسة الرابعة ـ مدرسة محمد بن تميم البرمكي الذي كان حيا سنة ٣٩٧ هـ ولم يؤلف معجما ؛ وإنما رتّب صحاح الجوهري على ترتيب حروف الهجاء مبتدئا بالهمزة . منتهيا بالياء . وهو الترتيب الذى اعتمده مؤلفو المعجمات العربية فى العصر الحديث مثل : المنجد . وأقرب الموارد . والمحيط . والبستان . والمعجم الوسيط الذى أصدره المجمع اللغوي المصري الحديث .

ولا شك أن من بركات « الصحاح » تأسيس مدرسة البرمكي التى اتبعها مؤلفو المعجمات التى مر ذكرها . فليس للمحدثين منهج خاص ابتكروه . وإنما وجدوا طريقا معبدا فسلكوه .

وهناك منهج عظيم في تأليف المعجم العربي ابتكره إمام عظيم في اللغة وعلوم العربية والدين هو نشوان بن سعيد الحميرى المتوفى سنة ٥٧٣ هـ في معجمه الفريد المسمى « شمس العلوم ، ودواء كلام العرب من الكلوم ، وصحيح التأليف ، ومعجم التصنيف ، والأمان من التصحيف » .

ونظامه ـ كما شرح نشوان في مقدمة معجمه ـ أنه جعل لكل حرف من حروف المعجم كتابا ، ثم جعل لكل حرف معه من حروف المعجم بابا ، ثم جعل كل باب شطرين : أسماء وأفعالا ، ثم جعل لكل باب وزنا ومثالا .

واتخذ منهج الخليل فى تقسيم الحروف الى مجموعات ، فبدأ بحروف الحلق مبتدئا بالهمزة فالهاء فالعين فالحاء فالغين فالخاء ، منتهيا بالواو فالياء فالألف وهي الأحرف الهوائية .

وافتتح نشوان معجمه بحرف الهمزة وما بعدها من الحروف فى المضاعف ، وبدأ بقوله : « الأسماء : فَعْل ؛ بفتح الفاء وسكون العين » وذكر أول كلمة : الأب : المرعى ، ثم الأد : القوة ، ثم يذكر كل كلمة على هذا الوزن من الأسماء .

وقد اختصر معجم نشوان بعض العلماء ، ولم نعتد نظامه مدرسة ، لأن أحدا لم يتبع منهجه ، فبقي وقفا عليه .

ولنا كتاب بعنوان « الصحاح ومدارس المعجمات العربية » طبع بالقاهرة سنة ١٣٧٥ هـ ذكرنا بالتفصيل سمات كل مدرسة ، ولم يرد فيه ذكر نشوان ، وإنما ورد ذكره وذكر معجمه فى مقدمة « الصحاح » التى كتبناها لطبعته الثانية التى بدئ بها منذ شهرين ، وقد انتهى طبعه ، ويقع فى سبعة مجلدات أحدهن المقدمة .

س ـ لقد حققت بعض المعاجم كالصحاح للإمام الجوهرى وبعض كتب اللغة مثل « ليس فى كلام العرب » لابن خالويه ، فهل فكرت كلغوى فى تأليف معجم؟

ج ـ نعم ، لما كنت طالبا بالمعهد العلمي السعودي في أوائل الخمسينات ألفت معجم جيب صغيرا ، لم أطبعه ، ثم ضاع .

وعندما حققت بعض المعجمات ، واطلعت على كل المعجمات القديمة والحديثة المطبوعة ، وعشرات المعجمات المخطوطة رأيت فى معجماتنا العربية ما هو جدير منا نحن المحدثين بالعناية ، ولا أسمى ما فى تلك المعجمات غلطا تأدبا مع أولئك الأئمة الأعلام ، فكثير من الكلمات تفسر بقولهم : معروف ، وهو غير معروف الآن .

وهذا الحديث لا يتسع للتفصيل فيما فى المعاجم من نقص .

وعندما وقفت على هذا النقص فكرت في تأليف أكبر معجم لغوي عصري حديث يضم قريبا من مئتي ألف مادة أو أكثر ، ويحوي من المصطلحات القدر الذى يتسع له معجم لغوي .

وهيأت المصادر والمراجع وعشرات الآلاف من الجزازات ، وعزمت عزما بعد التوكل على الله أن استعد للتأليف ، ولما كان هذا التأليف يقتضينى أن أتفرغ سنتين له فقد كتبت للملك الشهيد فيصل رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى ، كتبت رسالة أذكر له فيها نيتي وعزمي على تأليف أكبر معجم لغوي عصري حديث ، وحددت له مدة التأليف بسنتين من يوم البدء فيه ، وأفصحت لجلالته عن منهجي ، وفصلت « الموازنة » وهي ضئيلة ، اذ لا تتجاوزنفقات التأليف مليون ريال ، وطلبت ناسخي آلة ، وثلاثة محررين .

وكان مشروعى يقوم على ثلاثة معاجم :

الأول ـ المعجم الكبير ، واسمه « الفيصل »

الثاني ـ معجم وسيط ، ويحوي عشرين ومئة ألف مادة .

الثالث ـ معجم صغير ، يضم مئة ألف مادة ، يغني عن المنجد .

وبعثت الرسالة إلى الملك الشهيد يوم ٢٦ رمضان سنة ١٣٩٢ هـ وأحالها الى معالى وزير المعارف بتاريخ ٣ شوال ١٣٩٢ هـ وأعادها معاليه الى جلالته بعد بضعة شهور مؤيدا ومكبرا .

وبعد ذلك أحيلت « المعاملة » إلى لجنة من جامعة الرياض مكونة من الأساتذة الدكاترة : أحمد محمد الضبيب ، ومنصور الحازمى ، وأحمد المبارك برئاسة الدكتور عبد

الرحمن الأنصاري ـ الذى كان حينئذ عميد كلية آداب جامعة الرياض ـ فاجتمعوا وقرروا ـ دون علمي ـ قرارا أثنوا فيه على جهودى فى حقل العربية والمعجمات . وأيدوا ما اقترحت .

وأعيدت المعاملة الى الديوان الملكي الذي أحالها الى لجنة عليا تضم وزير المالية ووزير المعارف ووزير الحج والأوقاف والدكتور معروف الدواليبى . فأيدوا مشروعي وأكبروه ورأوا :

أولا : أن قيامي وحدي بتأليف المعجم ثقيل على كاهلى . ورأوا اضافة اثنين من غير السعوديين .

ثانيا : تأليف نموذج .

ورددت بأن قيامي وحدي غير ثقيل علي . وذكرت أنني بحول الله وقوته ومشيئته قادر على العمل وحدى .

وألفت النموذج . فقد اخترت مادتين هما : أبد . وعرض . وذكرت أن معارضة هاتين المادتين من تأليفى بكل المعجمات المطبوعة وفيها الصحاح والمقاييس والقاموس وتاج العروس وغيرها من المعجمات القديمة والحديثة ليروا بعد المعارضة أن ما كتبته فى المادتين أكثر . ثم طلبت اليهم أن يضيفوا الى المعاجم المطبوعة ما يعرفون من المعاجم المخطوطة كالعين للخليل . والعباب والتكملة للصغاني والمحيط لابن عباد وغيرها من كتب اللغة ليروا أن مادتي أبد وعرض فىالنموذج الذى ألفته تحويان أزيد مما فى تلك المعجمات وكتب اللغة المطبوعة والمخطوطة .

وقدمت رأيي والنموذج للجنة الجامعة . ثم رفع كل ذلك الى الملك الشهيد طيب الله ثراه . ثم فقدت « المعاملة » وقد أمر جلالته ديوانه الملكي أن يتصل بى ويطلب الي أن أكتب « تقريرا » عما تم فى المشروع . فكتبت التقرير ورفعته لجلالته . وبعد مدة راجعت الديوان . فقيل لى : إن المعاملة قد أحيلت الى جهة سماها لى . فراجعتها فلم أجدها لديها .

وعندما قررت إحاطة جلالته علما فوجئ العالم باغتياله . ومات المشروع . وإن

كانت « موازنته » تضم كل سنة الى نفقات جامعة الرياض .

وفى سنة ١٣٩٤ هـ عرض علي من قبل بعض الحكومات الانفاق على المشروع فلم أوافق . لأنى أردت أن يكون الفخر والمجد للملك فيصل ولبلادي .

ويعسر علي الآن القيام به . لأنني فقدت خلال هذه السنوات كثيرا من بصري وصحتي . فعندما عرضت على الملك الشهيد مشروعي كانت قوة الإبصار عندى $\frac{٣}{١٠}$ والآن $\frac{١}{٢٠}$ وصحتى كانت حسنة . أما الآن فقد أصبت فيها بما أنهكها . والسبب الذي يحول دون قيامي هذه الأيام بتأليف المعجم أنني مصمم العزم على تأليف أعظم موسوعة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وما أود أن يشغلنى عنه غيره .

س ـ ما رأيكم فى مدرسة البصرة ومدرسة الكوفة ؟ وما أسباب الخلاف بينهما ، وأي المدرسة تؤيدون ؟ ولماذا لم تكن هذه الظاهرة فى عصرنا الحاضر ؟

ج ـ مدرسة البصرة هي السائدة . فالنحو الذى يُدَرَّس في العالم اليوم وقبل اليوم على مذهب البصريين . وحسب مذهبهم قوة وشيوعا ورسوخا أن يزوي منافسه في الكتب . وأن يحل محله في موطنه الأصيل . ثم إن كل المصطلحات النحوية من ابتكار البصريين إلا النادر . والقواعد والأصول ثمرة جهد مدرسة البصرة . وما أحد يجادل فى رجحان آراء البصريين . وصحة قواعدهم . ودقة نظامهم . وتحريهم في الاستقصاء . واعتماد الشواهد . وبنائهم القاعدة على الأعم الأغلب والأفشى . ونقدهم للأمثلة والشواهد . وإبائهم اعتماد الشاذ والمثال غير المتكرر واتخاذ الشاذ والمنحول والضعيف في بناء القواعد .

وتمتاز قواعد مدرسة البصرة على الإحكام فلا تضعف امام الشاذ والمنحول والضعيف .

وسمات مدرسة الكوفة ـ كما أذكر ـ السماع والرواية والقياس . وتعتمد فى بناء القواعد على الشاذ والضعيف والمنحول.

واعتماد العلماء في تدريس النحو على مدرسة البصرة دون مدرسة الكوفة شهادة على ضبط قواعد البصريين وصحتها .

وإذا كنت أوثر مدرسة البصرة مثل غيري فلا أنكر توفيق مدرسة الكوفة في بعض ما ذهبت إليه . مثل إعراب المضارع وإعمال اسم المصدر مثل المصدر .

وأما عدم وجود مدرسة من ابتكار عصرنا الحاضر فسببه أنه لا حاجة إلى قواعد جديدة فى النحو . فمسألة القواعد مفروغ منها فى عصرنا الحاضر .

لقد انتهى عصر تقعيد القواعد فى العلوم المعروفة . وما نقول في الفعل والاسم والحرف والفاعل والجار والمجرور غير ما سبقنا إليه .

لا يمكننا إضافة جديد إلى القواعد . وإن كان في وسعنا أن نتخفف من بعض القيود .

س ـ الأندية الأدبية ؟

ج ـ وجود الأندية ضرورة . وبشرى خير . وآية على الصحة . ولكن ثمرات هذه الأندية ليست ـ حتى الآن ـ بالثمرات ذوات القيمة الغذائية الفكرية . ولكنها بواكير . وأكثر تلك الثمرات من غراس بعض رؤساء الأندية وأعضائها . وكان عليهم أن يجعلوا لغيرهم نصيبا موفورا . وأقر أن فى بعض ما نشرت الأندية روائع .

ومخصصات الأندية ضئيلة . ولهذا لم يُقْدِم ناد على نشر كتاب ذى قيمة من كتب التراث . فكتاب من كتب التراث مثل « ليس فى كلام العرب » لابن خالويه . أو « شرح مقصورة ابن دريد » لابن هشام اللخمي يكلف نصف مخصص النادي . ولو أرادت رعاية الشباب أن تعمل فى ميدان الثقافة والعلم والأدب اعمالا كبيرة فلتستعد للبذل السخي .

ومعجم « الصحاح » للإمام الجوهري يكلف طبع خمسة آلاف نسخة مع تجليدها أكثر من مليونين ونصف مليون ريال بالمملكة . وفى بيروت يكلف ثلث ذلك المبلغ تقريبا .

وليس فى قدرة ناد أو ناديين الإنفاق على نشره .

فلو استعدت رعاية الشباب ووعدت الأندية بالانفاق على مثل هذه الأمهات لنشطت الأندية .

وعلى أي حال نقرن الشكوى بشيء من الشكر . والعتاب بالتحية . ونرجو من الرعاية أن تسخو فى البذل من أجل غذاء الفكر ورياضته . وأن تبرهن الأندية على طموحها بما يحمل الرعاية على الإصغاء لمطالبها .

س - الاستشراق والمستشرقون ؟

ج - ولد الاستشراق لخدمة الاستعمار . ولكن بعض نشاطه كان علميا . وليس به هوى . فنشر بعض كتب التراث خال منه . واذا كان أكثر المستشرقين ذوى هوى مشبوب الضرام فإن ندرة نادرة منهم تنزهوا عنه مثل زترستين الذي حقق جزءا من معجم « شمس العلوم » لنشوان الحميري تحقيقا حسنا خيرا من تحقيق الشيخ عبد الكريم الجرافى .

وما حققه زترستين طبع فى مطبعة بريل بليدن سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) وما حققه الجرافي طبع فى مصر ، وتحقيقه غاية فى الرداءة والخطأ . ولا يوثق به . ونقدته فى مجلة « الرسالة » واقترحت إحراقه . وقبل إمام اليمن الأسبق الملك أحمد فأحرقه . وكلتا الطبعتين لم تحو من « الشمس » إلا جزءا يسيرا .

قواعد العربية صحيحة وسليمة على الإطلاق والتعميم

قرأت في جريدة « الشرق الأوسط » بالعدد ٧١٦ الصادر في يوم الاثنين ١٩٨٠/١١/٣ (١٤٠٠/١٢/٢٥ هـ) كلمة للأستاذ الفاضل أحمد محمد جمال تحت عنوان « حوار لغوي » جاء فيها قوله :

« قرأت للكاتب العربى الكبير الأستاذ أكرم زعيتر في الشرق الأوسط يوم ١٩٨٠/١٠/١٤ تحت عنوان « حوار مع مصحح متأدب » حديثا حول الكلمات الصحيحة فى بعض مقالات الأستاذ زعيتر التي ظنها المصحح خطأ فصوابها (كذا) - بزعمه - فكانت تخطئة لصحيح . وتحريفا لمستقيم .

« ثم تصدى الأستاذ زعيتر للمعلق الصحفي الرائع الأستاذ جهاد الخازن فى موضوع نحوي آخر وهو قاعدة النسبة إلى المفرد . وما كتبه الأستاذ الخازن فى زاويته « صباح الخير » من أن كلمة « جماهيرية » خطأ والصواب جمهورية . وذلك نسبة الى المفرد كما تعلم فى المدرسة .

« ... حيث قال الأستاذ زعيتر : إن الأستاذ الخازن « قد أخطأ فى تخطئته لكلمة

« جماهيرية » مؤثرا عليها « جمهورية » مستندا إلى قاعدة نحوية تعلمناها فى المدارس . وثبت وهنها وبطلان إطلاقها وهي تحتم النسبة إلى المفرد »

ويقول الأستاذ أحمد جمال :

« وقد أحببت أن أدخل مع الأستاذين الفاضلين فى حوارهما العلمي الجميل الجليل لأقول : إن مع كل منهما بعض الحق . فقد أشار الأستاذ الخازن إلى القاعدة النحوية (وهي النسبة الى المفرد) ولم يتمها ـ وقال الأستاذ زعيتر : إن القاعدة ثبت وهنها وبطلان إطلاقها . ولم يذكر ما اشترطته من استثناء : (النسبة الى الجمع إذا كان علما) كأنصار ومدائن فيقول فى نسبته أنصاري ومدائني الخ »

ويقول الأستاذ أحمد محمد جمال : « وأنا أؤيد الأستاذ الزعيتر فى النسبة الى « دول » لا الى « دولة » فى القضايا والمسائل والعلاقات والمصالح والهيئات الدولية (بضم الواو المشددة مع فتح الواو الخ » .

وفى الجملة الأخيرة خطأ مطبعي وهو « الواو » الأولى . والصواب : الدال . وأبدأ حوارى من هذه الجملة نفسها . فقول الأستاذ : « الدولية (بضم الدال المشددة) ليس سليما . ولعله منه سبق قلم . لأن الدال ليست مشددة . ولا وجود لشدة فى هذه الكلمة . ويستحيل فى العربية مجيء كلمة مبدوءة بحرف مشدد . لأن الحرف المشدد حرفان : أولهما ساكن مثل : عظّم بتشديد الظاء المفتوحة . فالظاء الأولى ساكنة . ولا وجود فى العربية لكلمة حرفها الأول ساكن .

وما يظن أنه شدة ليست بشدة ، وإنما الحرف الساكن الأول هو اللام الشمسية التى تدغم فى الحرف الذى يليها .

ولا يغيب عن الأستاذ أحمد جمال أنه يقال فى الدول : بضم الدال وفتح الواو جمعا لدولة . ولا يمكن أن يقال : بضم الدال المشددة .

وأما « الجماهيرية » فشاذة وعلى غير القياس . واذا جاز أن ينسب الى الجمع شذوذا أو فى حالات نادرة فإن تسمية الدولة الليبية « الجماهيرية » تدعو الى السؤال والاستغراب . لأنها لا تخلو من النبوّ وفساد الذوق والخروج على القاعدة .

ومسألة النسبة من أبواب علم الصرف لا النحو . وقاعدة النسبة سليمة صحيحة قوية . وعجيب من الأستاذ أكرم زعيتر المعروف بغيرته على الفصحى أن يزعم قائلا : ... ... قاعدة نحوية تعلمناها فى المدارس وثبت وهنها وبطلان اطلاقها وهي تحتم النسبة الى المفرد »

وقاعدة رد الجموع الى آحادها فى النسبة قاعدة مطردة ، وما فات فقهاء العربية ما جاء سماعا مما يعد شاذا أو على غير القياس فأشاروا الى ذلك .

وعندما توضع القواعد لا توضع إلا بعد حصر الشواهد وتغليب المطرد على الشذوذ ، والكثرة على النَّدَرَى . والراجح على المرجوح .

أما إذا تساوى المطرد والشاذ والأعم والنادر فما ثم ضرورة إلى القواعد التى يراد منها الضبط والإحكام .

وزعم الأستاذ زعيتر : ثبوت وهن القاعدة مردود وغير صحيح . كما أن زعم بطلان الاطلاق مردود أيضا .

فقاعدة النسبة فى علم الصرف من أدق القواعد وأضبطها . وهي سليمة وصحيحة وقوية على الإطلاق والتعميم ، وورود عشرات من الكلمات خارجة على القاعدة لا يصيبها بالتضعضع ولا تتهم بسبب ورودها بالوهن . لأن القاعدة تبني على الأعم والأغلب والمطرد والكثرة .

ولم يغفل الذين وضعوا القواعد عما ورد مما يخالفها . بل ذكروا ما شذ وخرج على القياس أو عن القاعدة رغبة منهم فى المزيد من الضبط والإحكام[1]

(١) نشرت فى جريدة « الشرق الأوسط » .

الأدب الشعبي

يقصدون بالأدب الشعبي ما كانت لغته عامية . وفيه الأمثال والشعر . وقل فيه النثر . وكل ألوان الأدب الشعبي غير مدونة إلا القليل . وهذا من حظ الفصحى حتى لا تزاحمها العامية .

أما الأمثال فى العامية فندر الاستشهاد بها فى الكلام بعد أن كان قبل ثلاثين عاما كثيرا . فما كان الكلام يخلو منه . وكان المتكلمون مولعين بذكر الأمثال يؤكدون بها أقوالهم .

أما فى هذه الأيام فقد خلا كلام الناس فى عالمنا العربي من الأمثال خلوا تاما . وبذلك مات هذا اللون من الأدب الشعبي .

أما النثر العامي فلا يحفظ لا فى الذاكرة ولا فى الورق إلا فيما ندر . وذلك فى التمثيليات المكتوبة بالعامية .

وأدب التمثيل في اللغة العربية نادر . وهو فى العامية أندر .

ولم يبق إلا الشعر . وهو أكثر فنون الأدب الشعبي . وهو فى بلادنا السعودية مقصور المعرفة على البادية . أما الحضر فلا يستسيغونه . وندر منهم من يسمعه . وأنا لا أسيغه ولا أسمعه . ولا أشجعه .

والأغاني التى ينظمها بالعامية شعراؤها من الحضر فى العالم العربي شبيه بشعر البادية فى الخروج على قواعد الإعراب ، ومع ذلك فالحضر يسمعون الأغانى ويطربون لهـا . ولكنهم لا يسمعون شعر البادية المسمى فى بلادنا « الشعر النبطي » وفى مصر ولبنـان « الزجل »

ولا يخلو الغناء العامي أو الزجل من الجمال والفن . فمنه ما بلغ فى صدق الشعور والتعبير الذروة . وفى بعض الشعر العامي المغنى به صور رائعة آية فى الجمال . وقيمة تعبيرية ثقيلة فى ميزان الفن .

وأنا أحارب العامية ولا أقبل أن تزاحم الفصحى . ولكنى اغض الطرف فى الغناء اذا حسن التعبير وحسن الأداء . وفى غير الغناء لا أستسيغه ولا أتجاوز عنه .

وكل ما يكتب بالعامية من قصص وتمثيليات لا يجد منى اهتماما . بل أزدريه وانصرف عنه . فاذا كتب بالعامية السعودية مقتّه . واذا كتب بعامية لبنان ـ وبخاصة بعامية زحلة ـ لا أفهمه . ولذلك لا أقرؤه . وكذلك كل ما يكتب بعامية الشام والعراق . وكنت قبل خمس وأربعين سنـة أقـرأ فى مجلـة « الفكاهـة » المصرية بعض ما ينشر فيهـا من القصص والتمثيليات والمقالات لمجرد التسلية والعلم . وكانت قراءتى هذه حينما كنـت مبتدئـا فى الأدب . ولم تدم معاشرتى لهذا اللون إلا سنة ثم انصرفت عنه الى الفصحى انصرافا تاما .

وليس فى خزانة كتبى التى كانت تحوى حوالى ثلاثين ألف كتاب غير كتب معدودات باللغة العامية وأما فى هذه الأيام فقد خلت منها إلا ما كان منشورا من الأغانى فى بعض الصحف والمجلات . وبعض الدواوين التى أهديت إلى مما يحوى هذا اللون من الشعر البدوي الذى لا أهواه ولا يعجبنى .

وأنا لا أشجع المأثورات الشعبية (الفولكلور) ولا أسمعه ولا أشهد رقصاتهـا على الشاشة إلا نادرا .

والشيء الوحيد الذى احتفظ به فى خزانة كتبى مما كتب بالعامية كتب الأمثال . فهي وحدها من الأدب الشعبى التى تجد مكانا فى الخزانة . وأحتفظ بها للدراسة والمقارنة والموازنة بين عاميات الأقطار العربية فى باب الأمثال واختلاف اللهجات .

وأشهد تغيرا كبيرا فى لغة العامة فى بلادنا . فقد حسنت لغة التخاطب فيما بينهم ، وماتت مئات الألفاظ التى كانت تستعمل منذ أربعين سنة أو أكثر . حتى أن كلمات لم تطرق سمعى منذ خمسين عاما سمعتها من ممثلة مصرية فى « مسلسل » بالتلفزيون السعودي .

فارتقاء العامية فى بلادنا وفى العالم العربي بسبب شيوع التعليم ووسائل الإعلام يوحى بانها ستتطور وستقترب الى الفصحى . ولكن لن تبلغها . لأنه لا مفر من وجود فارق أو فوارق بين لغة الخطاب ولغة الكتاب .

دعاوى تفصح عن بطلانها

دعوى نفي صلاح العربية للحياة ولهذا العصر يعلنها أعداء الفصحى دون بينة . فاذا طولبوا بها قدموا دعاوى هي فى حاجة الى برهان وبينات .

فهذا سلامة موسى أحد أقطاب الدعوة الى العامية ومن أئمة أعداء الاسلام والقرآن كان فى كل حياته يحارب الفصحى حربا لا هوادة فيها . وما ترك فرصة تبدو له إلا انتهزها لضرب لغة القرآن . وإطلاق الدعاوى دون بينات . ومن دعاواه التى يرددها وما يظنه براهين قوله فى مقال له نشرته مجلة الهلال فى أحد أعدادها الصادرة سنة ١٩٢٧ م (١٣٤٥ هـ) :

« والهم الكبير الذى يشغل بال السيد ولكوكس بل يقلقه هو هذه اللغة التى نكتبها ولا نتكلمها . فهو يرغب فى أن نهجرها ونعود الى لغتنا العامية فنؤلف فيها وندوّن بها آدابنا وعلومنا » .

وهذه الجملة من سلامة موسى وولكوكس تفصح علانية عن حقدهما على الفصحى . فهما لا يرغبان إلا فى هجرها واحلال أي لغة محلها . ويدعوان الى التأليف بالعامية وتدوين العلم والأدب بها .

ونحن نقول لها ولمن يدعون دعوتها من أمثال سعيد عقل ولويس عوض : هيا ألفوا بالعامية ودونوا بها آدابكم وعلومكم .

إنهم يدعوننا نحن العرب المسلمين إلى هجر لغة ديننا وكتاب الله . أما هم فلا يتخذون غير الفصحى . لأنهم مدركون أن العامية لا يمكن أن تكون لغة الآداب والعلوم والفنون بحال من الأحوال .

ويسرف سلامة موسى فى الكفر بالفصحى حتى أنه لا يرضى بأن تكون العامية المصرية ذات أصل عربي . وإنما ينكر عروبتها إنكارا شديدا ويقول فى مقاله نفسه المنشور بالهلال :

« وقد خطب (ولكوكس) منذ أشهر خطبة عن هذه اللغة جمع فيها اختباراته عنها . وارتأى فيها أن هذه العامية التى نتكلمها فى مصر ليس لها علاقة بالعربية الفصحى . فكل منها لغة متميزة عن الأخرى . ونحن لم نكتسبها عن العرب . وإنما نزلت الينا من الهكسوس الذين أقاموا فى مصر نحو ٥٠٠ سنة . وإن طريقة النفي المزدوج حين نقول : « أنا ما عملتش » هي طريقة لا يعرفها العرب وإنما جاءتنا من الهكسوس الذين انتشرت لغتهم فى أقطار عديدة حول مصر حتى بلغت مالطة . وهذه اللغة تعبر الآن عن مزاجنا وتقوم بالمعانى التى تختلج فى أذهاننا . أما اللغة الفصحى فهي « الهيروغليفية » التى يترجم كتابنا وطلبتنا إليها خواطرهم وأفكارهم كما ينقلونها أحيانا إلى الإنجليزية أو الفرنسية . ويرطنون بألفاظها المحفوظة من الكتب » .

هذه دعاوى سلامة موسى وكل الدعاة إلى العامية التى يريدون إحلالها محل العربية الفصحى . ولا يريدون إحلالها لأنها فى أصولها وكلماتها وتركيبها من الفصحى . بل لأنها كما يزعم سلامة موسى لغة نزلت الى مصر من الهكسوس الذين سبقوا العرب المسلمين الى مصر . فالعامية الدارجة فى مصر فى هذا العصر لا صلة لها بالعربية وإنما هي لغة الهكسوس .

والدليل الذى قدمه سلامة موسى هو ما يحسبه النفي المزدوج فى قوله : « أنا ما

عملتش » وأداة النفي الأولى هي ما فى « ما عملتش » والازدواج هو الشين فى « عملتش » كما فهم سلامة موسى .

وهذا جهل من سلامة موسى . فليس فى العبارة نفي مزدوج . ولم تنزل الى مصر من الهكسوس . بل الجملة منسوبة إلى العربية . وكل كلماتها عربية . فالضمير « أنا » عربية أصيلة . وكذلك « ما » النافية . و« عملت » عربية صحيحة . وهي جملة مكونة من فعل وفاعل ، والفاعل تاء الضمير . وأما الشين التى ظنها من النفي المزدوج ليست كما ظن . فهي مقطوعة من كلمة « شيء » وأصل العبارة : أنا ما عملت شيئا . فلما انتقلت من الفصحى إلى العامية صارت « أنا ما عملت شيء » ثم لما انتقلت الى عامية مصر صارت « أنا ما عملتش » ويقاس على هذا كل فعل اقترن بتاء الفاعل التى انقطعت خلفها الشين من « شَيْء » وصارت ذيلا لها .

ولا دخل للهكسوس فى العبارة . كما أن لهجة مصر العامية لا صلة لها البتة بلغة الهكسوس . وإنما هي فى أصلها عربية محرفة .

وإذا كان نزول الهكسوس إلى مصر جعل سلامة موسى يدعى تلك الدعوى فما قوله فى عامية الحجاز . بل عامية نجد المتفقة مع عامية مصر في الكلمات والحروف وبناء الجمل ؟ أيرى الهكسوس جاءوا إلى الحجاز ونجد ؟.

إنها دعاوى مردودة إلى مدعيها . وكل ما يريد هو هجر الفصحى حتى تموت كما ظن . فإذا هو الميت المهجور ومثله من زعموا زعماته .

إن عامية الحجاز تقول : أَنَا مَا عَمِلْتْ شَـيْ . ومثلها عامية مصر التى اكتفت بالشين من « شْي » بعد نقل السكون من الياء إلى الشين .

صعوبة الفصحى

كثر القول فى صعوبة الفصحى كثرة لو جمع الورق الذى كتب فيه هذا الاتهام لرأينا جبالا شاهقة تشغل مساحات شاسعة ، ومن كثرة ترداد صيحات الصعوبة اعتقد كثير من أساتيذ العربية والمشتغلين بها تعليما وتدريسا فى كل مراحل التعليم ومن كبار الكتاب أنها صعبة حقيقة .

وبعد أن أوحى مدعو صعوبة اللغة العربية انتقلوا الى مرحلة أخرى من الدعوة والادعاء ، ونادوا بجهارة استبدال العامية بالفصحى . وزعموا أن العربية شديدة الصعوبة ، بل زعموا أنها صعبة أصعب من أي لغة ومن أي علم . وزعموا أن معرفة قواعدها بلغت من العسر ما لا يطاق .

وكل ما زعموه افتراء على العربية . فقواعدها ليست أعسر من كثير من اللغات الانجليزية والألمانية . بل نجد قواعدها أسهل من غيرها . وليست العربية أصعب من عشرات العلوم المعروفة كالفيزياء والتكنولوجيا ومختلف صنوف الهندسة والجبر والرياضيات والطب .

وإذا سايرنا المفترين على العربية واعترفنا بصعوبتها فما الحل ؟ وماذا يريدون أن نعمل

معها ؟ هم يريدون هجرها وأن نستبدل بها لغة أخرى . وقد صرح بذلك خصومها من أولئك المستشرقين والصليبيين من أوربيين وعرب فى مصر ولبنان .

وهل يترك علم لصعوبته ؟ أو تهجر لغة لصعوبتها ؟ كلا . وإلا لكان كثير من المستشرقين الذين تعلموا العربية واجادوها أول من يلامون اعنف اللوم على أنهم ينهون عما عملوا . ولوجب أن يترك الانجليزلغتهم . وتُترَكَ كل العلوم . فما من علم خلا من الصعوبة . وبعض العلوم أصعب من جميع اللغات . ومع ذلك لم ينهض فى العالم دعاة يحملون عليها . ويدعون إلى هجرها .

ومن مغالطات الدعاة وبهتانهم قصرهم الدعوة على العربية دون غيرها من اللغات . فهم لم يدعوا إلى هجر الروسية والصينية واليابانية . وإنما يسرفون إسرافا لا حد له فى التجنى على العربية . والدعوة إلى هجرها . مع أنها أجمل اللغات طرا . وتتفرد دونها جميعا بأن كل كلمة فيها موزونة وزنا . وبذلك كانت الموسيقى من خصائصها . ومع جمالها الفريد خلت من العقد والصعوبات .

فقواعدها محدودة وسهلة . فالكلمة فى العربية ذات ضروب ثلاثة : اسم وفعل وحرف . والحروف تحفظ لقلة عددها . ونطقها فى جميع الأحوال واحد إلا بضعة أحرف يعتورها التغيير اليسير . مثل : على والى . تنطقان عليها واليها وعليك وعليهم وعليهن واليهن وإليهم . كل ما حدث أن حرف العلة انقلبت ياء عندما اتصل بها الضمير .

والاسم له ثلاث حالات : الرفع والنصب والجر . الجر فى حالتين اثنتين : اذا اتصل به حرف جر أو أضيف .

وللرفع ست حالات . وللنصب إحدى عشرة

هذا كل تغيير فى الاسم . وليس العلم بهذه القواعد صعبا . إنه أسهل من قواعد اللغة الألمانية وكل لغات أوربا .

والعلم بقواعد الفعل وأقسامه ليس صعبا . ولا يوصف بالصعوبة بل العلم بها سهل .

ونحن قد تعلمنا كل قواعد العربية نحوا فى السنة الأولى الابتدائية . ومع ان تعلمى إياها مضى عليه حوالى نصف قرن فما يزال فى ذاكرتى حتى اليوم .

وجاءت الصعوبة في تعلم النحو من أعداء الفصحى عندما غيروا منهج تعليمها . وأوحوا إلى من كان بيدهم أمر التعليم من العرب بمنهجهم فأجبروا كل التلاميذ العرب في كل أقطارهم أن يسيروا عليه فعقم التعليم لعقم المنهج . وتفقدنا بين أبناء هذا المنهج من يحسنون العربية فافتقدناهم . وهناك سبب آخر لضعف التلامذة يضاف إلى سوء المنهج وعقمه . ألا وهو ضعف معلمي العربية على الاطلاق والتعميم ضعفا شديدا .

بل انتهى الضعف الى أساتيذ الجامعات . حتى أن عالما يحمل بضع شهادات عالية . يلقي في احدى الاذاعات العربية حديثا في شرح صحيح الامام البخاري يخطئ كثيرا في قواعد العربية نحوا وصرفا . والحديث ليس من إنشائه . وإنما يمسخ « فتح الباري » .

والحق . لا تتهم العربية بصعوبة قواعدها التي تعصم اللسان من الخطأ . وما أيسرها وما أسهل العلم بها إذا كان من يعلمها مثل أساتيذنا علما وخلقا وأمانة .

ومن المفارقات العجيبة أن أبناء العالم العربي الذين يتعلمون قواعد العربية على المنهج الحديث ضعاف فيها . أما أبناء غير العرب الذين يتعلمون تلك القواعد على المنهج السلفي يحسنون تعلمها وفهمها . ومصداق ذلك مثل يضرب بطلاب ندوة العلماء في لكنو بالهند . فهم يحسنون العربية خيرا من طلاب الجامعات العربية . والسبب نجابة المنهج وإخلاص المدرسين .

الفصحى لا تصلح لأن تكون لغة الحياة

أعداء الاسلام والقرآن ولغتهما الفصحى من أجهل الجاهلين بحقيقة الفصحى وعظمتها واتساعها للحياة . ووفائها بحاجات هذا العصر وكل عصر . وصلاحها للحياة فيما مضى من الزمان وفى المستقبل والحاضر .

والذين يزعمون أن العربية لغة ميتة . وغير صالحة لأن تكون لغة الحضارة والآداب والعلوم والفنون هم أعداء . فلا غرابة أن يحاربوها ويقذفوها بشر التهم . ويخترعوا عليها كل باطل . ويلصقوا بها كل نقيصة . ويلفقوا عليها كل ما هي براء منه .

وماذا ينتظر العدو من عدوه الأثيم غير التجنى والأذى والباطل وكل ضروب الشر ؟ إذن . لا غرابة من أعداء الفصحى أن يحاربوها . وإنما الغرابة أن يشترك معهم فى عداء العربية والحقد عليها عرب . وبعضهم عرب مسلمون ادعوا على العربية ما ادعاه خصومها من الصليبيين والصهيونيين والشيوعيين .

وأي مسلم يشارك الأعداء فى دعوى عدم صلاح العربية لهذا العصر . وأنها لغة ميتة لا تصلح لهذا العصر يعد مرتدا عن الاسلام . لأن هذه الدعوى الباطلة كفر بواح . إذ تشمل القرآن الكريم .

وليس بمسلم من يزعم أن القرآن غير صالح للحياة ولهذا العصر . لأن القرآن صالح لكل زمان ومكان . ولن يجوز على كلام الله الموت .

والصليبيون واليهود الذين يدعون على العربية هذه الدعاوى . ويتجنون على القرآن ويفترون على الله الكذب إذ يزعمون عدم صلاح القرآن لهذا العصر . وسبب زعمهم هذا أنه مكتوب بالفصحى . وأنه كتاب الإسلام .

وقلت لبعض هؤلاء الأعداء : أترى القرآن يصلح لهذا العصر إذا جعلناه بالعامية ؟ فقال سلامة موسى : نعم يصلح .

قلت له : إنك نشرت منذ أربعين سنة ـ وكان الحديث بيني وبينه منذ ثلاثين سنة ـ أن ولكوكس أعلن عن مسابقة مكافأتها أربعة جنيهات لمن يكتب بحثا علميا باللغة العامية . ولم يتقدم أحد . وأنا أعطيك أربعمئة جنيه اذا ترجمت مؤلفك « نظرية التطور وأصل الإنسان » إلى العامية من الفصحى . فبهت وعجز .

فقلت له : إذا كنت أنت صاحب الدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى عجزت ولم تتخذ العامية لغة دعوتك إلى استعمالها . وعجزت عن إعادة كتابة مؤلفك بالعامية ؟ أترى في إمكان بشر أن يحيل صياغة القرآن من الفصحى إلى العامية ؟ أنا أجيبك : هذا مستحيل .

ومقصد سلامة موسى وكل أعداء الاسلام القضاء على الفصحى حتى يباعدوا بين كتاب الله والمسلمين .

ومع أن الأمية غالبة على العرب فإن الفصحى ما تزال لديهم اللغة المقدسة لأنها لغة القرآن التي يفهمونها . وما هم بحاجة إلى العامية حتى يفهموا ما يلقى عليهم بالفصحى . فهم يفهمون من القرآن والحديث ما يسهل عليهم فهمه . ويفهمون خطب الجمعة وتفسير القرآن وشرح الحديث بالفصحى التي لم تكن مغلقة على العربي الأمي .

وأخذ العامة الأميون يقتربون من المتعلمين بسبب وسائل الإعلام : الإذاعة ، والتلفزيون . ووجدنا أثر هذا الاقتراب في لغتهم التي ابتعدت عن الركاكة والإسفاف . ونشأت لغة حسنة بين العامية والفصحى .

والشيء الوحيد الذى بقي على حاله فى العامية هو البعد عن الإعراب ، وأكبر العلماء فى العربية يتفقون مع الأميين فى البعد عن الإعراب فى لغة الخطاب ، ولا يلتزمونه إلا فى الكتاب .

وموجز القول : إن الفصحى أصلح لعصرنا الحديث من بضعة العصور التى سبقته ، لأن وسائل الإعلام الحديثة منحت العامة والأميين ثقافة واسعة فاقت ثقافة كثير من علماء من سبقوهم بقرنين أو بضعة قرون .

لماذا لا تصلح الفصحى ؟

لا يقدم أعداء الفصحى بين يدي دعواهم أن الفصحى غير صالحة لهذا العصر . وغير صالحة لأن تكون لغة الكتابة والعلم والأدب أي دليل . وإنما يقدمون بين دعواهم بعدم الصلاح دعاوى . ولا يقدمون بينات لإثبات دعاواهم .

ومن قادة الدعاة إلى هجر الفصحى واتخاذ العامية ولهم سبيتا وكارل فلُرس ـ وكلاهما ألماني[1] ـ ووليم ولكوكس[2] الإنجليزى . وسلامة موسى المصرى القبطي . وكلهم خصم العربية . لأنها لغة القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام . ولولم تكن العربية كذلك لما خاصموها وحقدوا عليها .

خاصموها لأنها لغة القرآن وليس غير . لم يخاصموها لصعوبة فيها أو صعوبة فى كتابتها . إذ لو كانت الخصومة بسبب الصعوبة لخاصموا اللغة الصينية . واللغة الروسية . بل لوجب عليهم أن يخاصمواالإنجليزية والألمانية وغيرهما من اللغات التى هى أصعب من العربية .

---

(١) ولد فلرس سنة ١٨٥٧ م وهلك سنة ١٩٠٩ م .

(٢) إنجليزى ولد بالهند سنة ١٨٥٢ م وهلك بمصر سنة ١٩٣٢ م .

إذن ، ليست خصومة العربية لصعوبة فيها وإنما لأن الاسلام اتخذها لغته ، فنزل القرآن بالعربية . وكانت لغة رسول الاسلام العربية . فهم يعادونها لأنها لغة الاسلام . وهم أعدى أعداء هذا الدين .

وطبيعي أن تكون بينهم وبين الاسلام هذه العداوة التي لا يمكن أن تزول أو تخف . تلك هي العداوة بين الإيمان والكفر ، بين التوحيد والوثنية . بين الفضيلة والرذيلة . بين الحق والباطل .

واتفقت كلمة أقوى دول الأرض ممثلة فى الاستعمار لضرب الإسلام حتى زووه فى الصدور . فلم يعد يحكم به باستثناء المملكة العربية السعودية . وكانت سيادة الأرض لأوروبا التى زوت الاسلام وجردت أهله من كل قوة . ونهبت ثرواتهم وخيرات بلادهم . وتحكمت فيهم وفى بلدانهم وفى كل شيء لهم . وأخذت تعمل لتشكيكهم فى دينهم . وأعلنت الحرب على لغة القرآن فعجزوا وأخفقوا . ودوت لغة القرآن فى مئات الملايين من بيوت المسلمين . وملايين المساجد فى الأرض ليل نهار .

ومن معجزات القرآن وكرامة لغته العربية نهوض الأعاجم إلى حماية الفصحى وتغليبها على لغتهم حتى سادت وبقيت مذكورة ليل نهار على كل لسان من ألسنة المسلمين الذين يقرأون فى صلواتهم كل يوم وليلة خمس مرات القرآن العربي . وينطقون عشرات المرات كل يوم وليلة بالشهادة باللغة العربية . وكذلك يقيمون الصلاة وتكبيرة الإحرام بالعربية .

وكلما أسرف أعداء الاسلام فى محاربة لغته الفصحى زادت انتشارا وألقا وسيادة حتى حيرت الأعداء . وأخفقت كل محاولاتهم . وانهزموا فى ميادينهم التى اختاروها هم لحرب لغة القرآن والاسلام .

وفى الوقت الذى يحاربها أعداؤها ليزووها وينصحون أهلها ليتركوها نجد أبناء أجناس الأعداء يتعلمونها . ونجد جامعاتهم تعنى بها وبعلومها وفنونها . وتلك هي كرامة لغة القرآن التى ترد على دعواهم وتثبت أنها صالحة للحياة ولهذا العصر . وتثبت لهم بأعمال أبناء أوطانهم وأجناسهم ومن قبل جامعاتهم أنها اللغة الصالحة لهذا العصر وكل عصر . بل أهل

الأعداء هم الذين يقدمون الدليل تلو الدليل على صلاح الفصحى .

وعندما يدعى أعداؤها عليها عدم الصلاح لا يقدمون بين يدي دعواهم أي دليل ، وإنما يريدون إثبات دعواهم هذه بدعاوى لا تخرج عما ادعوا زورا وبهتانا . وما قدموا لاثباتها برهانا ، وإنما خرج من أوطانهم وأهليهم وأصلابهم من قدموا البراهين على صلاح العربية للحياة ولهذا العصر وكل عصر .

هل العربية قاصرة ؟

يتهم أعداء الاسلام لغته الفصحى بأنها لغة بداوة لا تصلح لأن تكون لغة الحضارة ، وزعموا أنها قاصرة لا تستوعبِ ما جدَّ من العلوم والفنون وألفاظ الحضارة !.

وكل هذه التهم التى اتهموا بها الفصحى تهم باطلة . فالعربية لم تضق فى ماضيها عن كل جديد . بل استقبلته واتسعت لكل ما وفد اليها أو لكل ما كانت فى حاجة إليه .

فمنذ العصر الجاهلي نجد فى لغته العالية مئات الكلمات الدخيلة المعربة استقبلته بترحاب . وأخضعته لذوقها ونظامها وقانونها . حتى القرآن الكريم حجة العربية حوى عشرات من الكلمات المعربة . وكذلك أحاديث رسول الاسلام محمد عليه الصلاة والسلام .

فاذا لم يضق عرب الجاهلية وهم الأُلىَ يحتجُّ بلغتهم بالمعربات وأدخلوها فى صميم لغتهم فذلك دليل مرونة العربية . وهي مرونة أصيلة فيها . ولكن . ليس معنى المرونة أن تفقد اللغة شخصيتها وسماتها . وإنما اتساعها للجديد .

والإسلام لم يحرم فى مجال اللغة أي جديد يحتاج إليه أهلها . بل أحل ذلك بدليل وجود عشرات الكلمات المعربة فى كتاب الله ومئاتها فى الحديث الشريف ولغة عصر الصحابة الكرام .

والإسلام نفسه أعظم دليل على مرونة العربية وسعتها . فقد جاء بكل جديد على العرب وعلى العالم . بل هو نفسه جديد فى كل شيء .

نزل القرآن بلغة العرب فكرمها ورفع من شأنها وأمدها بحياة خالدة . ووهب لها الصحة الدائمة . ونفى عنها كل سقم . وعصمها من كل داء . ومنه العقم .

وكانت لغة رسول الإسلام وخير الخلق طرا وخاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام العربية فأكسبها قوة متجددة تضاف إلى قوتها الذاتية التى تضخمت بالإسلام نفسه الذى جاء فى الدين والعقيدة والشريعة والاجتماع والإنسانية والعلوم والتجارة والاقتصاد والسياسة وغير ذلك بجديد كثير استوعبته العربية .

ثم أخذت الدعوة الاسلامية تنتشر حتى دخلت فيها أمم بلغت فى الحضارة والمدنية والعلوم والحكمة والفلسفة أرقى الذرى . وكانت لغات تلك الأمم متسعة لكل حضاراتها وعلومها وفنونها . ولكنها استبدلت بها لغة الإسلام العربية وآثرتها على لغاتها . واتخذت العربية لغتها وجعلوها لغة الكتابة والعلم .

ومع أن العربية واجهت حضارات وعلوما جديدة فإنها لم تضق بها ولم تجمد . بل استوعبتها ووسعت كل ما جدَّ عليها .

وفى العصر العباسي وسعت العربية الطب والهندسة والكيمياء والرياضيات وعلوما ابتكرها العرب المسلمون كالنحو والصرف والعروض وعشرات العلوم الحديثة وآلاف المصطلحات . ولم تضق عن ترجمة علوم اليونان . فقد ترجمت إلى العربية من اليونانية علوم اليونان وفلسفتها كما ترجمت علوم فارس والهند وحكمتهما .

وفى العصر الحديث تُرجمت إلى العربية آلاف الكتب من كثير من اللغات وأثبتت وفاءها لحاجات هذا العصر وكل عصر .

وإذا كانت العربية لم تستطع بعدُ أن تجد لآلاف المسميات الحديثة أسماء فما ذلك بسبب نقص فى العربية ، وإنما التبعة على الناطقين بها . فأهل اللغة هم المسؤولون عن اتساعها وضيقها وقوتها وضعفها .

والعربية تحوى من الخصائص والقوى والمرونة والمزايا ما يجعلها قادرة على استيعاب كل

جديد . ومستطيعة أن تجد لكل اسم مسمًّى . فالاشتقاق والنحت والترجمة والتعريب والوضع من خصائص العربية التى تضمن لها اطراد النجاح ودوام التوفيق كما تضمن لها البقاء .

والعربية على استعداد دائم وأهبة حاضرة لكل ما يطلب منها . وما كانت الانجليزية بأعظم قوة وأكثر حيوية ومرونة ومزايا وخصائص من العربية . بل العربية ترجح عليها فى الخصائص والمزايا .

وعلى الناطقين بها تبعة الانتفاع بمواهب هذه اللغة العظيمة الجليلة ومزاياها وخصائصها ، فهي أجابت سائليها ووفت بكل مطالب أهليها فى عصور السيادة والتقدم ، وهي فى جميع عصورها وبخاصة فى هذا العصر قادرة وقوية ووفية إذا اتصف أهلها بالقدرة والقوة ، وكانوا راغبين حقا فى أن يجعلوا لغتهم صالحة لكل زمان صلاح دينهم لكل زمان ومكان .

استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي

دعوات هدم اللغة العربية الفصحى كثيرة . وقد أخفقت جميعها . وماتت وهلك معها أصحابها . وكلها سواء فى الخطر . والمقصد منها جميعا محو القرآن الكريم الذى حفظ الإسلام والمسلمين .

إن أعداء الإسلام من الصليبيين وغيرهم مدركون حق الادراك أن وجود القرآن عاصم من الزوال . وما دام موجودا فما يستطيع أعداء الاسلام أن يقضوا عليه أو أن يستعبدوا المسلمين .

ولا شك أن وجود القرآن يحمى الإنسانية كلها من غرقها فى الموبقات والوثنية والجاهلية . ولولاه لعم الفساد العالم كله حتى لا يبقى على ظهر الأرض موحد حق .

ويقض القرآن مضجع كل مذاهب الهدم من رأسمالية وصهيونية وشيوعية . كما يقض مضاجع كل المفسدين وفى طليعتهم أعداء الاسلام . فهم ما يفتأون يبتكرون دعوات الهدم ولا يفترون .

ولما كانت العربية لغة القرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام فإن الحرب على الفصحى لا تنتهى مادامت الفصحى ومادام القرآن والاسلام . ومن أخطر دعوات الهدم

التى انبثقت عن عقولهم الشريرة استبدال الحرف اللاتيني بالحرف العربي الذى وجهوا إليه قذائفهم .

زعموا أن الحرف العربي معقد وأنه سبب تأخر الأدب العربي وجموده . وقال أحد أئمة الدعاة إلى العامية وهو (ولهلم سبيتا) الألمانى :

« كل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحى النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول : « وطريقة الكتابة العقيمة أي بحروف الهجاء المعقدة يقع عليها بالطبع أكبر قسط من اللوم فى كل هذا . وبالتزام الكتابة العربية الكلاسيكية القديمة لا يمكن أن ينمو أدب حقيقي ويتطور » .

وكل الصليبيين من أمثال « سبيتا » اخترعوا تهما وجهوها إلى الحرف العربي . ولفقوا عليه معايب حتى ادعوا أن كتابتها صعبة .

وانتهوا من قذائفهم إلى التصريح بما تكنه نفوسهم فأعلنوا ضرورة هجر الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتيني محله .

دعا هذه الدعوة صراحة سلامة موسى القبطي المتطرف وسعيد عقل الماروني المتعصب وفُلرس الألمانى وأنيس فريحة المسيحي الماروني اللبناني ومن لف لفَّهم من الصليبيين .

وبرز من العرب المسلمين عالم ضليع هو عبد العزيز فهمى باشا المصري المسلم وحمل لواء هذه الدعوة عن أصحابها ودخل بها المجمع اللغوي لأنه كان عضوا به . واقترح إلغاء الحرف العربي وإحلال الحرف اللاتينى محله . وأعد بحثا وقفه على اقتراحه وألقاه فى جلستين عقدتا يوم ٢٤ ويوم ٣١ يناير سنة ١٩٤٤ م وتجنَّى على الحرف العربي وحمل عليه حملة شعواء . ومجَّد الحرف اللاتيني . وأثنى على مصطفى كمال ثناء كثيرا بسبب محوه من تركيا المسلمة الحرف العربي واستبدال الحرف اللاتيني به .

ولم يوافقه أحد من أعضاء المجمع على دعوته الشاذة المقيتة . وتصدى للرد عليها وتفنيد أباطيلها المجمعيون داخل المجمع . ومن أعظم من هدموا على رأسه دعوته الأستاذ العقاد

رحمه الله . كما انبرى بعض ذوي الغيرة خارج المجمع حتى كان يومُ ظهور الدعوة على لسان عبد العزيز فهمى هو يوم موتها .

ولكن أعداء الفصحى فى لبنان ومصر حملوا لواء الدعوة إلى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي . وانبعثت الدعوة قوية صارخة من سعيد عقل الذى هاجم لغة القرآن هجوما عنيفا . وحمل على الحرف العربي حملة غاية فى العنف . فانبرت الأقلام العربية المسلمة للرد على ذلك الداعية الكفور . واشتركت أجهزة الإعلام السعودية من صحافة وإذاعة فى الرد .

ومقصد هؤلاء الدعاة من دعوتهم هو صرف الأجيال القادمة عن القرآن والحديث وعن كل ما هو مكتوب بالخط العربي . وعندئذ تفقد عزتها وكرامتها . وينمحى الشعور بجلال القرآن كما تَّمحى معجزته .

وإذا تحقق المستحيل ـ وهو غير متحقق ـ فإن تلك الأجيال تحتاج إلى ترجمة ما خُطَّ بالحرف العربي . وفى ذلك عناء وإنفاق لجهود وأموال لا تحصى .

وإذا أريدت ترجمة واحد فى الألف مما كتب بالعربيّة لاحتيج إلى عشرات الآلاف من أبرع المترجمين . وإلى أموال ترجح ألف مرة بميزانية الولايات المتحدة الأمريكية .

ونختم بحثنا هذا بأن نقول للدعاة : اكتبوا مقالاتكم وكتبكم أنتم بالحروف اللاتينية ، فذلك أقسى عقاب لهم . لأن أحدا حتى من أولادهم لن يقرأ ما يكتبون بالحروف اللاتينية .

لماذا نستبدل العامية بالفصحى ؟

لماذا نستبدل العامية بالفصحى ؟

يجيب الدعاة إلى العامية جوابا واحدا وهو عدم صلاح الفصحى للحياة بعامة . وهاهوذا سلامة موسى يجيب فى مقال له منشور بمجلة « الهلال » سنة ١٩٢٧ م قائلا :

« والتأفف من اللغة الفصحى التى نكتب بها ليس حديثا . إذ هو يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة حين نعى قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها وقال كلمته المشهورة : « إن الأوربي يقرأ لكي يفهم . أما نحن فنفهم لكي نقرأ » أو ما معناه ذلك . وقد اقترح أن يلغى الاعراب فتُسكَّن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك . وقام على أثره منشئ الوطنية المصرية الحديثة أحمد لطفى السيد فأشار باستعمال العامية أي لغة العامة . ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للغتهم كانوا من سوء القدر لأنفسهم بحيث تألَّبوا عليه وجازوه جزاء لا يأتى إلا من العامة الذين لا يدرون مصالحهم » .

هذه الفقرة كافية لاظهار دوافع الدعاة إلى العامية وحقدهم على الفصحى . وهنا ثلاثة من أقطابهم . أما أحمد لطفى السيد فقد تاب عن الدعوة وانتهى إلى أن صار رئيسا للمجمع اللغوي بالقاهرة . وقانونه يمنع انتخاب من يخاصم الفصحى ويحاربها . ويدعو إلى العامية .

وعندما رشح بعض أعضاء المجمع اللغوي سلامة موسى لعضويته دفع العقاد بأن أول مطلب من المجمع المحافظة على الفصحى وسلامتها . فهل نختار سلامة موسى عضواٍ ليهاجم في المجمع الفصحى ويناقض قانونه . ووقف العقاد في وجه ترشيحه فقضى عليه .

وأما قاسم أمين فقد هلك مع الهالكين وماتت معه دعاواه .

وكلمة « تأفف » في قالة سلامة موسى تبرهن على حقده البشع على الفصحى . أما حملته على العامة الذين أعلنوا الحرب على الدعوة إلى العامية فتدل على أشياء كثيرة منها : الحقد المتأصل في نفسه . وكفره الشديد بلغة القرآن لأنه عدو الإسلام .

ولم ينفع الدعاة تمسُّحهم بالعامة ونفاقهم إياهم رجاء الحصول على مرضاتهم . لأن العامة أدركوا سبب الدعوة إلى العامية ونبذ الفصحى إدراكا صحيحا فحاربوا الدعاة قبل الخاصة .

أدركوا أن الدعاة إلى العامية كفرة بالقرآن . فالعامة يقبلون التضحية بأنفسهم في سبيل بقاء القرآن كما أنزله الله جل جلاله . وإنهم لمستعدون للحرب في سبيل كتاب الله . ولهذا حاربوا الدعوة والدعاة الذين أعماهم عداء الإسلام عن إدراك حقيقة المسلم الذى يأبى كل أمجاد الدنيا تلقاء عقيدته أو المس بكتاب الله .

فلا غرابة إذا تألب العامة على الدعاة . لأنهم عرفوا أن الدعاة جميعا كفرة . وما كانوا ليرضوا عن الكافرين ولو تظاهروا لهم بالمودة . ولو عقل الدعاة لانصرفوا عن باطلهم . ولكن من فُطر على الشر لا يتركه . وكذلك هؤلاء الدعاة إلا النادر .

وأما كلمة قاسم أمين التى أعجبت سلامة موسى فمغالطة وافتراء . لأن كل قارئ يقرأ ليفهم . وليس الأوربي وحده هو الذى يقرأ ليفهم . بل الصيني والياباني والافريقي والبرازيلي والناس جميعا يقرأون ليفهموا . وليس العربي بشاذ بين الأجناس بسبب لغته الفصحى .

ولكن هؤلاء . الدعاة لحقدهم على الفصحى يتجنّون عليها ويفترون عليها الكذب وهم يعلمون أنهم يفترون . فقد ثار بيني وبين سلامة موسى جدل عنيف غير مرة كان ينتهي إلى العجز عن الرد مع التمسك ببغض الفصحى .

ومع أنه من أشد من عرفت الدنيا بغضا ومقتا للفصحى . لأنها لغة القرآن فإنه لم يستطع أن يستبدل بها العامية التى عبدها . بل لم يكتب بها . بل عجز عن الكتابة بها . وبذلك قدم هو نفسه الدليل على بطلان ما دعا إليه .

أما إلغاء الإعراب الذى دعا إليه قاسم أمين وغيره من مبغضى الفصحى أعداء الاسلام والعروبة فتلك دعوة مستحيلة فى العربية . لأن قوامها به . ولهذا لا يمكن بحال الاستغناء عن الإعراب أو إلغاؤه .

وحركات الاعراب بخاصة والحركات بعامة أجزاء أصيلة فى الكلمة العربية . ولا يمكن تصور كلمة دون حركات . لأنه لا وجود لكلمة دون حركات البتة .

الدعوة إلى إنطاق أبطال القصص كما ينطقون في واقعهم

خصوم اللغة العربية الفصحى ابتكروا دعوات كثيرة إلى هدمها . واخفقت كل دعواتهم . وكلما ماتت دعوة بعثوها وجدَّدوها . فالدعوة إلى العامية تتجدد دائما . ولم ييأسوا . وأصروا على أن تدخل العامية المسرح والسينما والقصص والروايات . وزعموا أن من الحتم أن تتكلم الخادمة بالعامية وبأسلوب الخدم . وكذلك كل طبقة من طبقات الشعب .

وزعموا أنه لا يصح أن يتكلم العامة الكادحون بلغة الارستقراطيين الأعلياء . فلا يصح ـ مثلا ـ أن يتكلم سائق سيارة طه حسين وطباخه وخادمه وبستاني حديقته بأسلوبه الرفيع . فاذا ألف طه حسين رواية وجب عليه أن ينطق كل واحد من هؤلاء فى الرواية التى تجمعهم بلهجاتهم وأساليبهم .

ونحن لا نسمع هذه الدعوة فى جميع الآداب العالمية . وإنما تنطلق الدعوة فى اللغة العربية وفى الأدب العربي دون غيرهما من اللغات والآداب .

ولا تنطلق الدعوة فى لغتنا العربية وأدبنا العربي إلا من ذوى الأمراض والعاهات الذين يحاربون الفصحى . لأنها لغة القرآن الكريم والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام .

وألف قصصا وروايات نجد بين أبطالها أعلياء وسوقة . كادحين ومنعمين . ارستقراطيين وبروليتاريا .

وفى أواخر سنى حياة طه حسين رحمه الله وأسكنه الجنة سمعت له مقابلة إذاعية سرتنى . فقد سئل عن أوقاته : كيف يقضيها ؟ فأجاب : بقراءة القرآن وسماعه . وسئل : أتسمع التمثيليات ؟ فأجاب : أنا لا أسيغ العامية ولا أسمع أي رواية تكتب بالعامية !.

وأولئك الدعاة الذين يحتِّمون إنطاق أبطال القصة بلغات أو لهجات تتفق مع حياتهم وحرفهم ووظائفهم وأعمالهم وبيئاتهم ومراكزهم الاجتماعية يعميهم العداء للفصحى عن واقع الآداب العالمية التى لم يهبط أقطابها إلى أساليب السوقة والصعاليك .

ونضرب المثل بشكسبير التى تضم رواياته كل صنوف البشر من ملوك وسوقة . وأغنياء وفقراء . ومرضى وأصحاء . ولصوص وأمناء . ومجرمين وأبرياء . وعسكريين من قادة وضباط وجنود . وكناسين وخدم وقتلة . ورجال ونساء . وكبار وصغار وأطفال الخ .

ولم يجعل أسلوب كل بطل متفقا مع مكانته . بل أنطقهم جميعا بأسلوبه الرفيع .

وكذلك كل الأدباء العالميين . فهذا طاغور أديب الهند الأكبر وأحد كبار الشعراء فى العالم لم يُنْطِقْ فى مسرحيته العظيمة المسماة « الزنابق الحمر » كل بطل فيها حسب مركزه . بل أجرى على ألسنة أفراد من السوقة معاني لا تخطر ببال هؤلاء الدعاة . لأنهم ليسوا فى موهبة طاغور الأدبية وعبقريته الفنية .

وعشرات من عباقرة التأليف المسرحي لم يجعلوا كل بطل من أبطال رواياتهم يتكلم بحسب تعليمه ومكانته . بل أنطقوا أبطالهم بلغتهم العالية ومعانيهم السامية وأساليبهم الرائعة .

ففى « الزنابق الحمر » كان غلام حفار وحفارون وأزواجهم العامة الأميون يتكلمون وكأنَّ كل واحد منهم أديب عبقري . ولم يقل له متحذلق : لماذا لا تجعل حفارا حقيرا عاميا أميا ينطق بكلام حقير يتفق معه ؟! ولماذا تجرى على لسانه ما يجرى على لسانك البليغ ؟!.

بل نقول لهؤلاء المتحذلقين : لماذا لم تنقدوا شكسبير وجوجول وموليير وطاغور وأمثالهم من عباقرة الرواية فى العالم على جهلهم ما علمه أولئك المتحذلقون . إذ لم يُنْطِقُوا السوقة بأسلوبهم الوضيع ما يجرى على ألسنتهم من كلام تافه حقير . بل أنطقوهم بكلام يُعدُّ من البيان الرفيع وبأسلوب يعتبر من الأدب الإنساني العظيم .

إن كل قصد أعداء الفصحى هدمها . ولهذا يطلقون دعواتهم الهدامة دون أن يبالوا الحق . لأنهم أبعد الناس عن الحق .

الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم

بدأت الدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى منذ أكثر من مئة سنة . ولعل أول من حمل لواءها المستشرق الألماني « وهلم سبيتا » المولود سنة ١٨١٨ م والهالك سنة ١٨٨٣ م وكان من كبار موظفى دار الكتب المصرية فى عهد الاستعمار البريطانى الغاشم .

وطبيعي أن يجد«سبيتا»ودعوته تشجيعا وعونا من الاستعمار الذى وضع خططه لضرب الإسلام ولغته ،وألبس دعوته ثوب الغيرة على الشعب العربى المسلم فى مصر . ووجد من بعض المصريين تأييدا .

وهاجم سبيتا الفصحى . واختلق عليها عيوبا . ومسخ جمالها الذى تفردت به دون سائر لغات البشر . لأنها اللغة الوحيدة الموزونة كل كلمة فيها وزنا موسيقيا .

والدعوة إلى اتخاذ العامية بدل الفصحى لغة الكتابة والعلم دعوة مستحيلة التنفيذ والتطبيق .

ويكفى البرهان القاطع على استحالة تحقُّق الدعوة الواقعُ . نعم . الواقعُ الذى لايغالب .

وما ثم برهان أقوى على فساد دعوة من أن داعيها المخلص لا ينفذها ولا يحققها . بل يقدم الدليل على استحالتها بأنه يتخذ خصمها أداته ووسيلته فى الخطاب والكتاب .

فهذا الداعية الى اتخاذ العامية لغة للكتابة والعلم بدل الفصحى لم يتخذ هو نفسه العامية لغته فى دعوته وفى كتابته . بل اتخذ الفصحى . لأنه يؤمن حق الإيمان باستحالة تنفيذ دعوته الهدامة .

وقضى حياته داعيا إلى هجر الفصحى . قاذفا إياها بشر التهم . مختلقا عليها أبشع النقائص والعيوب . واتخذ لمحاربة الفصحى كل سلاح رأى فيه تحقيق مأمله . وحسب أن دعوته ستنجح . لأن كل العرب فى جميع أقطارهم لا يخاطب بعضهم بعضا بالفصحى . وإنما يتخاطبون بالعامية .

وما دام الأمر كذلك فليبادر إلى وضع قواعد لها تحفظها من الضياع . وتمكن لها من السيادة والبقاء . وألف كتابا سماه « قواعد اللغة العامية فى مصر » أراد به إعلاء شأن العامية . والزراية بالفصحى .

ولم يكن وحده فى مضمار الدعوة إلى العامية . كما لم يكن وحده فى ميدان محاربة الفصحى . بل كان معه من الأوربيين ومن الصليبيين العرب . ووحدوا صفوفهم . وأعدوا كل ما لديهم من قوة .

ولكن الدعوة أخفقت . فكل الدعاة الى اتخاذ العامية بدل الفصحى كانوا هم أول معاول هدم ما دعوا إليه . فلم نجدهم يتخذون العامية لغة دعوتهم . وبذلك قدموا الدليل على أن دعوتهم باطلة . وأنها لا يمكن أن تكون لغة الكتابة والعلم والأدب .

وإذا قسروا أنفسهم وكتبوا الدعوة باللغة العامية لما اهتم بقراءتها المتعلمون . لأنهم لا يميلون الى أن يقرأوا ما كتب بالعامية إلا نادرا . ولا يقرأون إلا النكت والفكاهات .

أما البحوث الجادة فهم ينصرفون عنها إذا كتبت بالعامية . ولهذا كان الدعاة إلى اتخاذ

العامية لا يكتبون ولا يخطبون بها . وكان من أسباب انصرافهم عنها شيوع الأمية حتى كانت نسبة من يعرف القراءة والكتابة لا يتجاوز ثلاثة فى المئة . فلمن يكتبون ؟ أللذين لا يقرأون ولا يكتبون ؟ لهذا لم يكتبوا بالعامية .

العامية بدل الفصحى

الدعوة إلى اتخاذ العامية لغة الكتابة والعلم والأدب بدل الفصحى دعوة هدامة خطرة كل الخطر . أراد منها دعاتها من الصليبيين والشيوعيين والصهيونيين وأعداء الاسلام القضاء على الاسلام نفسه بالقضاء على القرآن والحديث وكل آثار العرب البيانية .

وأنا أقرأ فى بعض الصحف العربية ـ وفيها بعض صحفنا ـ تجديدا لتلك الدعوة وتطبيقها . وبعض من حملوا وزرها لم يفطنوا إلى المخطط الذى وضعه أعداء الفصحى الذين هم أعداء الإسلام لهدمه بهدم الفصحى .

ولكن الله الذى تكفل بحفظ كتابه الكريم الذى تبعه حفظ لغته قد هزم الدعوة الى العامية شر هزيمة منذ أعلنها دعاتها الأولون . وأخذت الهزائم تتوالى على الدعوة اللئيمة الهدامة على مر الأيام . ومع ذلك تتجدد الدعوة التى كانت فى بدء إعلانها مقصورة على المستعمرين الأوربيين . ثم أضيف إليهم الشيوعيون والصهيونيون .

ونشطت الشيوعية فى العالم العربي فصدرت لها صحف كثيرة فى أكثر أقطاره . وأنشأت لها مراكز ومكاتب ثقافية لهدم كل ما هو خير وحق وصلاح . وطبيعي أن تهتم بالزحف على لغة القرآن بمختلف الوسائل .

واجتمعت كل مذاهب الهدم لهدم الفصحى . ولكن كل جهودها ومحاولاتها أخفقت . ومع أن الدعوة الى اتخاذ العامية وإحلالها محل الفصحى قد بدأت منذ زمن بعيد . وأخذ أعداء

الاسلام يجددونها بأساليبهم الشيطانية فإنها لم تنجح فى عالم الكتابة والتأليف . كما أنها أخفقت فى عالم الصحافة فلم تظهر صحف جديدة بالعامية بعد أن ماتت الصحف التى اتخذت العامية لغتها . ماتت صحيفة « البعكوكة » وصحيفة « حبز بُوز » كما ماتت كل الصحف التى كانت تعنى بالعامية وترويجها مثل مجلة « الفكاهة » التى كانت تصدرها دار الهلال بالقاهرة .

وأخذ أناس عن حسن نية أو غفلة يروجون العامية ويدعون إليها تحت عنوان « الأدب الشعبي » وصدرت دواوين فى بلادنا باللغة العامية دون البلدان العربية الأخرى . ونشطت الدعوة إلى حفظ التراث الشعبي وتدوينه وطبعه . ولكن مصير الدعوة الى زوال .

وهذا النشاط لن يضمن للدعوة الحياة والبقاء . لأن هذا النشاط نفسه سيذوب مثل فقاعة الصابون عن قريب .

وابتكر أعداء الفصحى وسيلة جديدة . فهم عندما أخفقوا فى نشر العامية بين الكبار انفتلوا إلى الصغار فصدرت لهم صحف بالعامية . تغريهم وتدفعهم إلى قراءتها دفعا .

وهذه خطة أشد فتكا من خطة نشر العامية بين الكبار الذين لم يتأثروا بالدعوة فأقبل الأعداء إلى ناشئة المسلمين من العرب يفسدون عليهم أذواقهم وملكاتهم .

وعندما تفسد الأذواق والملكات تفسد المشاعر . وحينئذ تكون النفوس مهيأة لفساد العقيدة .

وعلى ذوى الغيرة من الحكام أن يقفوا فى وجه هذا الضرب من الصحف ويقضوا عليها . ويستبدلوا بها صحفا بالفصحى . فالعربية تتسع للأطفال ولغيرهم .

وهناك المسرح الذى يعنى فى الأغلب الأعم بالعامية . يؤيده الغناء بالعامية . والشعر الشعبى . والفولكلور .

وكل هذا حرب على الفصحى يجب أن نستعد لها ونقلل من شأنها وآثارها . فالعربية لا تضيق بالمسرح والتمثيل . بل تتسع لهما . فقد كان المغنون كالشيخ سلامة حجازي وغيره فى مصر يغنون بالفصحى . وكان كبار المغنين فى الحجاز ومن تبعوهم يغنون شعرا فصيحا .

وكذلك المسرح ، فقد كان كثير من الروايات التى مُثِّلت باللغة العربية الفصيحة من روائع الأدب العربي والأدب العالمي .

وإن تشجيع العامية فى الآداب والفنون ضرب من ضروب محاربة الفصحى ، وواجبنا تأييد لغة القرآن والحديث والاسلام ، ومناهضة ما يغايرها فى التعبير .

يكفى أننا نتخذ العامية لغة التخاطب ، ولا ضرورة لأن نجعلها لغة الآداب والفنون .

وأخذت العامية تقترب من الفصاحة فاختفت مئات الكلمات العامية ومئات التعبيرات الركيكة من عامية العالم العربي ، فمن الحري بنا ألا نشجع العامية على حساب الفصحى ، لأن فى تشجيع العامية نصرا وتمكينا لها ، ومحاربة للغة القرآن ، ومعاذ الله أن يحارب مسلم حق كتاب الله العزيز .

نطاق العامية شديد الضيق

أيمكن أن تتسع العامية للعلوم والآداب والفنون ؟.

الجواب من الواقع نفي قاطع . لأن العامية لم تتسع لدعاتها حتى يقدموا الدليل على صلاحها لأن تكون لغة الكتابة . وإنما نجد هؤلاء الدعاة أنفسهم عجزوا عن اتخاذ العامية لغة دعوتهم . ولم تنجح محاولة من محاولاتهم .

ومن أعظم محاولاتهم أن داعية ترجم الإنجيل الى العامية المصرية الدارجة . وهو وليم ولكوكس المولود بالهند سنة **١٨٥٢** م والهالك بمصر سنة **١٩٣٢** م وهو إنجليزي من أشد الإستعماريين بغضا للإسلام ولغة القرآن . وكان مهندسا .

ويصف سلامة موسى القبطي وأحد أفظع أعداء الإسلام والقرآن والفصحى عمل سيده وْلكوكس فى مقال له نشره بالهلال سنة **١٩٢٧**م (**١٣٤٥** هـ) وهذا نص ما قال سلامة موسى :

« والسير ولكوكس يدعو الى هجر الفصحى هجرا تاما واصطناع العامية . وقد ترجم هو نفسه الإنجيل إلى اللغة العامية المصرية فوفق فيه إلى ترجمة حية يقرؤها المصري فيلذ له الأسلوب ويرى فيه جوا مألوفا يشم منه النكهة البلدية . وهو فى اعتقادى أوقع فى النفس من الإنجيل المترجم إلى اللغة الفصحى » .

هذا الإنجيل الذى ترجمه ولكوكس الى العامية المصرية طبع منه عشرات الألوف . وأخذت الكنائس والمؤسسات المسيحية توزعها دون ثمن . ومع كل هذا النشاط المتضرّم فى التوزيع مات الانجيل المترجم الى عامية مصر . ولم يصدق سلامة موسى فى زعمه كعادته .

كان فى أيام طبع هذا الإنجيل عدد الذين يقرأون ويكتبون فى مصر بين الأقباط القلة والمسلمين الكثرة لا يتجاوز ٣٪ ولم يكن عدد القبط يتجاوز المليون ؛ ومع هذا لم يكن بيد القبطي العامي نسخة منه . لأنه أمي لا يقرأ . وأما القبطي المتعلم فما كان حريصا عليه . لأنه يؤثر عليه الترجمة الفصيحة .

وسلامة موسى نفسه لم يكن يقرأ إلا الترجمة الفصيحة . وكذلك كل القبط المتعلمين .

وكانت بخزانة كتبى نسخة من الإنجيل ترجمة ولكوكس . وهي أشد رداءة وركاكة من الإنجيل المترجم الى الفصحى .

أما العامة من المسلمين فلم يشعروا بصدور ترجمة ولكوكس . وأما المتعلمون فما كانوا يقتنون الإنجيل إلا النادر الذى اقتضاهم البحث وادخار المراجع أن يحتفظوا به . وحتى الآن ندر فى مصر بين المسلمين وكذلك فى لبنان من لديه نسخة من الكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى .

وعندما ترجم ولكوكس الإنجيل إلى عامية مصر أراد أن يعزف على وتر الدين ليؤثر فى الناس . ولكنه غفل عن شيوع الأمية . ونسي أن عدد الأقباط قلة . وجهل أن المسلمين جميعا لا يقتنون الإنجيل ولا يقرأونه الا آحادا دفعهم البحث الى اقتنائه .

وهكذا ماتت ترجمة ولكوكس فى حياته . واكلت الأرضة فى مستودعات الكنائس آلاف النسخ . وخلت الأرض منها . كما ماتت الروايات والحكايات والصحف التى كانت تتخذ العامية لغتها .

وصدرت فى لبنان رسائل بالعامية اللبنانية ماتت هي أيضا . مع أن أعداء الفصحى وعلى رأسهم سعيد عقل الصليبي كانوا ينفقون مئات الآلاف من الليرات اللبنانية لترويج العامية وإحلالها محل الفصحى فما نجحوا . بل انطووا هم وما دعوا اليه . وبقيت لغة القرآن لغة الدين والعلم والأدب والثقافة .

ومن المفارقات العجيبة أن مقابل كل ورقة تصدر بالعامية من قبل أعداء الفصحى تصدر عشرة آلاف ورقة بالفصحى .

وأحصيت فهارس الكتب التى صدرت فى لبنان وحدها بالفصحى فوجدت بها خلال خمس السنوات الماضية ما صدر من الكتب بالفصحى بلغ بضعة آلاف كتاب . ولم أجد بين هذه الآلاف المؤلفة كتابا واحدا باللغة العامية .

حتى الذين يحاربون الفصحى يكتبون بها مقالاتهم وبحوثهم وكتبهم . وأن ذلك مصداق قول الله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) فالله تكفل بحفظ القرآن ولغته التى هزمت كل أعدائها . وخرجت من الحروب المشنونة عليها منتصرة مرفوعة الذكر منشورة اللواء .

وعندما كانت السيادة لأعداء الفصحى على أقطار العروبة والإسلام لم يستطيعوا أن يحققوا دعوتهم . بل هزمتهم لغة القرآن هزيمة نكراء فلم تنجح دعوة من دعواتهم الكثيرة التى أرادوا منها هدم الفصحى مثل دعوتهم إلى اتخاذ الحرف اللاتيني بدل الحرف العربي . ودعوتهم إلى إلغاء الاعراب .

وادعوا على العربية دعاوى كثيرة ليحملوا بها العرب على ترك لغتهم الفصحى . فزعموا للعرب أن لغتهم صعبة . وأنها لا تصلح للحياة . وأنها لغة بداوة وليست بلغة حضارة . فهي غير صالحة للمتحضرين .

وزعموا ـ فوق ذلك ـ أن قواعدها صعبة كل الصعوبة . ولهذا قرروا عدم صلاحها . ونصحوا بأن يستبدل العرب بفصحاهم اللغة العامية التى هى لغة الحياة كما زعموا .

وبلغ أعداء العربية والعرب والإسلام فى البلاهة أقصى مداها حينا ظنوا العرب بُلْهاً فاقدى التمييز بين الأضداد التى يقف تمييزها على الغرائز ، وحسبوا أن العرب سيتركون لغتهم الفصحى لأول إشارة تصدر منهم .

ولكن الدعاة هلكوا وهلكت معهم دعوتهم وبقيت الفصحى لغة الأدب والعلم والكتابة . ولم يتخذ عربي أصيل العامية فيؤلف بها كتابا . بل إن أعداء الفصحى أنفسهم كسلامة

موسى وسعيد عقل لم يؤلفوا بالعامية ، بل ألفوا بالفصحى ، كتبوا بها دعوتهم إلى العامية . وبذلك قدموا هم أنفسهم براهين بطلان دعوتهم التي لم يأخذوا بها .

وهذا ـ ولا شك ـ من أسرار معجزة لغة القرآن التي تبقى ببقائه ، ولم تهزم قط ولن تهزم أبدا ، لأن الله جل جلاله حافظ للفصحى بحفظه كتابه العزيز الذي تكفل به إذ قال فيه : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) .

ازدواجية الفصحى

كل أعداء الفصحى من الصليبيين سواء أكانوا أوربيين أم كانوا عربا من مصر ولبنان من أمثال وليم ولكوكس الانجليزي وسبيتا الألماني وسلامة موسى ولويس عوض القبطيين المصريين وسعيد عقل وأنيس فريحة المارونيين اللبنانيين يتهمون اللغة العربية الفصحى بالازدواجية والانفصام . ويقصدون بها وجود لغتين : إحداهما العامية الدارجة التي يتخاطب بها العرب جميعا فيما بينهم . والأخرى الفصحى المقصورة على القلم والكتاب .

يقول سلامة موسى فى كتابه « البلاغة العصرية » صفحة ١٤٧ : « يجب ألا يكون للمجتمع لغتان : إحداهما كلامية أي عامية . والأخرى مكتوبة أي فصحى كما هي حالنا فى مصر » .

ويقول أنيس فريحة فى صفحة ٤٠ من كتابه « نحو عربية ميسرة » : « تنحصر مشاكل اللغة العربية الأساسية فى أربعة أمور : أ ـ وجود لغتين مختلفتين : عامية وفصحى » الخ .

وقد سبقهما « ولهلم سبيتا » فقال فى كتابه المسمى « قواعد اللغة العامية في مصر » :

« كل من عاش فترة طويلة فى بلاد تتكلم العربية يعرف إلى أي حد كبير تتأثر كل نواحى النشاط فيها بسبب الاختلاف بين لغة الحديث ولغة الكتابة » .

ويقول سعيد عقل فى مقال له منشور بجريدة « النهار البيروتية » : « نواجه معركة اللغة فنخوضها غير هيّابين . إن ناموس الإفصاح يقضى بأن يحل لسان النطق محل لسان الكتاب . ولسان الكتاب هذا الذى حنا عليه لبنان وأبلغه أشده ولقن العرب كيف إطلاع التحفة فيه الخ » .

هؤلاء أربعة من أئمة الدعاة إلى العامية ـ وغيرهم مثلهم ـ مجمعون على أن عيب العربية والعرب وجود لغتين فى مجتمعاتهم : إحداهما لغة الخطاب الدارجة . والثانية لغة الكتاب التى لا يحسنها إلا من تعلموها وأتقنوها . وهؤلاء أنفسهم لا يتحدثون فيما بينهم بالفصحى . وإنما يتحدثون بالعامية التى هي لغة تخاطبهم فى البيت والسوق والنادى والمدرسة وفى المعهد والجامعة .

وهذى دعوى من دعاوى أعداء الفصحى الكثيرة . إذ يزعمون أن العرب وحدهم دون كل الأجناس يستعملون لغتين متغايرتين : عامية وفصحى . وأما غيرهم من الأمم فلهم لغة واحدة فى الخطّاب والكتاب .

وقبل أن نفند هذه الأبطولة نقول لأصحابها مجاراة لهم : قبلنا دعواكم وسمعنا . أن لدى العرب دون الناس لغتين : عامية وفصحى . فماذا ترون ؟.

يرون أن ندع الفصحى لأن الشعب لا يحسنها . ونأخذ العامية ونتخذها لغة العلم والكتابة . وبذلك نقضى على ما يسمونه « الازدواجية » .

والآن . وقد رأوا التمسك بالعامية على زعمهم لغة الشعب ولغة الحياة نسألهم : أي عامية نختار ؟.

يجيب سعيد عقل : عامية زحلة . وليس ما نسبناه إليه قالةً لم يقلها . بل كتب منذ زمن مقدمة ديوان شعر بعامية زحلة .

وإذا رضينا بأن يجعل كل شعوب الأمة العربية عامية زحلة لغة الأدب والعلم والكتابة والفلسفة والفن فهل يفهمونها . عندما كتب سعيد مقدمة ذلك الديوان بعامية زحلة مات فى كل لبنان . بل لم يعرف فى « شتورة » التى لا تبعد عن زحلة غير ميل .

ولن يرضى سلامة موسى بعامية زحلة . بل هو يختار عامية شارع الدواوين قرب ميدان « لاظ أوغلى » لأنه كان يسكن فيه سنة ١٩٣٦ م وما بعدها . وهي تختلف عن عامية شبرا وباب الحديد .

وهكذا يختلف الدعاة ولا يتفقون على لغة واحدة من هذه العاميات الكثيرة . وكلها لا يمكن أن تكون لغة القلم والكتاب .

ونحن لم نكتب هذه الكلمة لتفنيد أبطولة الدعوة إلى العامية . ولهذا نتركها لنواجه دعواهم أن العرب وحدهم هم الذين لهم لغتان : فصحى للكتابة والعلم . ولغة للخطاب هي العامية .

ومن كثرة ترداده لهذه الفرية صدقها بعض الكتاب والمثقفين من العرب وأخذوا يرددون وينادون بالويل والثبور من هذه الازدواجية التى تفردت بها لغة العرب دون سائر اللغات .

أفصحيح ما زعمه الزاعمون من أعداء الفصحى وما ردده مصدقوهم المخدوعون ؟.

إن سلامة موسى ولويس عوض يحسنان الانجليزية وتعلما فى بريطانيا . ويعرفان حق المعرفة أن للانجليز لغتين : عامية وفصحى . مثلهم مثل العرب . وكل لغات العالم ـ دون استثناء ـ مثل العربية .

بل يعرف الدعاة ممن يحسنون الانجليزية كسلامة موسى ولويس عوض أن العامية الانجليزية فى لندن تختلف باختلاف الأحياء والطبقات . ثم إن عامية الأدباء والشعراء وأساتيذ كليات الآداب واللغة ليست مثل عامية الصحفيين . مع أنهم جميعا من طبقة المتعلمين والمثقفين .

ولا يمكن أن يتصور مثقف ـ مجرد تصور ـ أن لغة الأديب المشهور جورج برنارد شو الانجليزية هي لغة الشارع . بل لا يمكن أن نتصور أن الانجليزية أو الفرنسية فصيحة خالصة . وليس لها عامية دارجة .

وما من لغة على وجه الأرض إلا وفيها فصحى للكتابة والعلم . وعامية للمخاطبة

الدارجة . وإلا لكان الناس متقاربين فى الفصاحة والبيان . وهذا غير واقع . بل يتعذر وقوعه .

وأعداء الفصحى حينما يزعمون أنها اللغة الوحيدة التى تختلف عن غيرها من اللغات فى مسألة اختلاف لغة القلم والكتاب عن لغة الخطاب إنما يفترون الكذب على العربية وهم يعلمون .

وإذا كان فى العربية فصحى وعامية فكذلك كل اللغات شأنها شأن لغة العرب . وما هي بشاذة بين اللغات .

يقول الأستاذ عباس حافظ ـ أحد كبار المترجمين من الانجليزية إلى العربية فى العالم وليس فى مصر وحدها أو العالم العربي وحده ـ فى مقال له منشور بمجلة « الإذاعة المصرية » سنة ١٩٥١ م :

إن أرقى شعوب الأرض تكتب بلغة تغاير لغة الكلام « ومن يظن أن الانجليز أو الفرنسيين أو الروس أو الألمان يكتبون كما يتكلمون يخطئ الخطأ كله . فان لهؤلاء أيضا لغة كلامية أو كلاما دارجا أو طريقة سخيفة فى التعبير لا تستقيم إذا كتب بها . ولا تكفى للتأدية البارعة . ولا تصلح للانشاء والوصف والترسل والاستطراد المطلوب فى الأدب الرفيع » .

ومع وجود لغة عامية ولغة فصحى فى الانجليزية وغيرها من اللغات الحية فان أولئك الناقمين على العربية الفصحى الداعين إلى هجرها وإتخاذ العامية بدلا عنها كذبوا على أنفسهم وعلى الناس حينما خصوا العربية وحدها دون سواها بوصمة الازدواجية . لأن أهلها يتخذون الفصحى حينما يكتبون . والعامية حينما يتحدثون .

إن أعداء الفصحى لا يجهلون هذه الحقيقة التى تعد من البديهيات . بل يعلمون حق العلم أن الانجليزي يكتب بلغة ويتكلم بأخرى . وكذلك الألماني . والروسى . والفرنسي . ولكن عداءهم للإسلام والقرآن دفعهم دفعا إلى معاداة لغتها الفصحى واختلاق الأكاذيب عليها فى جراءة وقحة لا مزيد عليها . مع أن لكل شعب من شعوب هذا العالم لغتين : فصحى وعامية .

فلماذا لا يعادى خصوم العربية لغات الأوربيين ؟ أليس لديهم فصحى للكتاب . وعامية للخطاب ؟ ولماذا يقصرون اتهامهم للغة القرآن دون كل اللغات ؟ ولماذا لا يعلنون الحرب إلا على اللغة العربية ؟ ألأنها لغة الإسلام ولغة القرآن .

نعم . إن سبب عدائهم للعربية الفصحى عداؤهم للاسلام وكتابه المجيد ورسوله العظيم محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم .

ومع أن الدعاة أعلنوا الحرب على اللغة العربية فى زمن كان العرب مستعمرين فيه لأعدائهم فإن محاولاتهم زهقت وأخفقت دعواهم فهلكت الدعوة والدعاة وبقيت العربية عزيزة قوية مرفوعة الذكر .

ولما كان الله عز وجل قد تعهد بحفظ كتابه فقد صارت العربية محفوظة بحفظ الله كتابه . وتلك معجزة القرآن وسعت لغة الفصاحة والبيان .

(١) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

ازدواجية اللغة يقصدون بها ازدواجية اللغة العربية . وهي من اختراع أعداء الفصحى العربية الحاقدين عليها . ومعنى هذه الازدواجية عندهم أن العرب فى هذا العصر يتكلمون بلغة ويكتبون بأخرى . يتكلمون العامية ويكتبون الفصحى .

وهذه دعوى استعماريين ومستشرقين وصليبيين ، وإنهم ليعلمون حق العلم أن دعواهم باطلة .

وليس بمستغرب من العدو أن يحقد على عدوه ويتربص به الدوائر . ولكن المستغرب أن مثقفين عربا مسلمين اتهموا العربية بما اتهم به عداها . وليسوا بمعذورين أن أولئك الأعداء أوحوا إليهم بازدواجية اللغة حتى اعتقدوا أن هذا الاتهام صحيح . فأخذوا يرددون الاتهام !.

إن أعداء العربية اتهموا العرب بالازدواجية . وسماها بعض كتاب العرب الانفصام اللغوي .

ومن هؤلاء الكتاب من زعموا هذا الزعم عن حسن نية . ومنهم الأستاذ مصطفى زين الذى كتب الكلمة الرابعة تحت عنوان عام هو « من قضايا المسرح » وعنوان الكلمة « بين

العامية والفصحى » نشرت بمجلة المجلة التى تصدر من لندن بالعدد ٥٣ الصادر فى يوم السبت ١٠ ـ ١٤٠١/٤/١٦ هـ (١٤ ـ ١٩٨١/٢/٢٠ م) جاء فيها :

« يؤكد بعضهم أن هناك انفصاما فى الشخصية العربية الأساسية . وأن السبب الرئيسى يعود إلى اللغة . فالعربي يتعلم لغة مختلفة عن اللغة المحكية . ويكتب لغة غير اللغة اليومية . وهذا ما يجعل الكاتب يدخل فى عالم آخر غير العالم الذى يعيش فيه عندما يكتب » .

« واللغة سلطة مثل كل السلطات تفرض قوانينها . ولا تقبل فى ظلها من يستهتر بهذه القوانين أو يخرقها » .

ويقول الكاتب : « وإذا كانت اللغةُ السلطة صارمة فى تطبيق قواعدها فاللغة المحكية أكثر تساهلا وأقل صرامة . وفى معنى آخر تبدو اللغة المحكية وكأنها عفوية منطلقة من الداخل . وتبدو اللغة الفصحى وكأنها مفروضة من الخارج » .

وخلاصة رأي الكاتب أن لدينا لغتين : فصحى وعامية . والعامية سهلة طبيعية . أما الفصحى فصعبة صارمة مفروضة . وكل منهما تغاير الأخرى .

ومفهوم كلامه بالضرورة أخذ ما كان سهلا وطبيعيا . ويقابل الأخذ ترك ما ليس بطبيعي ولا سهل .

فهل العرب شذوذ فى القاعدة دون الناس . القاعدة أن للانسان لغة واحدة سواء أكانت محكية أم فصحى .

إن اعداء العربية والقرآن والإسلام ومحمد عليه الصلاة والسلام قد زعموا للعرب أن اللغة العربية الفصحى تغاير لغة الكلام مغايرة تامة . فكل منهما لغة مستقلة . العامية لغة الحياة . والفصحى لغة البداوة . العامية سهلة سمحة . والفصحى شاقة صعبة . فالأولى أن نستبدل العامية بالفصحى . ونتخذ العامية لغة الكتابة والعلم .

وصدق بعض كتاب العرب ما زعمه أولئك الأعداء فحملوا عنهم الدعوة الى تمجيد العامية والازراء بالفصحى ومنهم الأستاذ مصطفى زين أحد محررى المجلة .

ونحن نقرر الواقع ونسألهم : هل اللغة الانجليزية واحدة عند العامة وعند الكتاب ؟ ألغة الكتابة هي نفسها لغة الحديث ؟.

يجيب الواقع : ليست لغةُ الكتابة لغة الحديث . الانجليز وكل شعب مثل العرب فى اللغة . هناك لغة عامية ولغة فصيحة . بل فى لندن عاميات معدودة . فلغة بيكادلىٍّ العامية غير لغة داوننج استريت العامية . كما أن الفصحى الانجليزية تختلف بنسبة الكاتبين . ففصحى برنارد شو غير فصحى العالم البريطانى المشهور السير أرثركيت . وفصحاهما غير فصحى السيدة تاتشر رئيسة وزراء بريطانيا .

وهذا طبيعي . فالإنسان الواحد الذى يدل عليه أسلوبه يختلف عنده أسلوب القول باختلاف ظروفه . فقد يكون فى وقت صافي النفس فيكون أسلوبه مشرقا . ويكون فى وقت كئيبا ومضطرب النفس فينم أسلوبه عن تلك الكآبة وهذا الاضطراب فتتغير لغته بتغير ظروفه .

فالتهمة الموجهة إلى العرب القائلة بازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي تهمة عامة تتساوى فيها كل الشعوب . وهي ليست تهمة ولا نقيصة . لأن اختلاف لغة الكتابة عن لغة الحديث أمر طبيعي .

فلغة برنارد شو عندما يتكلم مع زملائه الأدباء من أقرانه ليست لغته عندما يتكلم مع سائق سيارته أو طباخه أو بستانيه ؟ لأن لكل مقام مقالا . فلهجته العامية تختلف مثل اختلاف فصحاه بحسب مقتضيات الحال والمقام .

وفى العربية عندنا مثل ما فى الانجليزية وغيرها . لابد من وجود لغة فصحى للكتابة . وعامية للحديث . وليس هذا الاختلاف بازدواجية فى اللغة . لأنه طبيعي وضروري .

(٢) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

أيمكن أن يأتي يوم على أمة من الأمم فتتحد لغة الخاصة ولغة العامة أو لغة الكتابة والحديث ؟!.

أعتقد أن هذا الاتحاد غير ممكن ولا يمكن أن يتم . لأنه نقض للطبيعة التى لا يمكن نقضها ومخالفتها . ونحن نرى اجتماعا لا يحضره غير أعلياء الكتاب والمفكرين كأعضاء المجامع اللغوية . ويتحدثون فيما بينهم . ونصغى إلى أحاديثهم فاذا هي تختلف باختلاف المتحدثين . وإن كانت تتقارب فى الفصاحة والبيان .

وكذلك العامة . وكذلك حينما يضم المجلس عامة وخاصة . ولا نريد أن نمثل بالعرب . لأن أعداء لغتهم اتهموهم بازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي . ونضرب المثل باللغة الانجليزية والناطقين بها حيث لا ازدواجية ولا انفصام كما يفهم من بهتان من اتهموا العرب .

فهل الانجليز والأمريكيون سلموا من الازدواجية والانفصام ؟ لا . لم يسلموا . فشأنهم شأن العرب . وكذلك شأن كل الشعوب فى جميع الأزمنة والأمكنة .

إن الازدواجية والانفصام مرض . ولا يسمى بها اختلاف لهجات الناس . لأنه أمر طبيعي .

ولو فكر هؤلاء الزاعمون قليلا فى العامية وبزوغ الفصحى لأدركوا خطل تفكيرهم الذى نجم عنه خطأ زعمهم .

كيف بزغت شمس الفصحى عند كل الشعوب ؟ أكان بزوغها مصادفة أو دون أسباب ؟ ما أظن أحدا يزعم المصادفة فى بزوغها كما لا يستطيع ادعاء البزوغ دون أسباب .

ثم . أيهما أسبق ؟ الفصحى أم العامية ؟ لا شك أن العامية أسبق ؟ لأن الفصحى لغة أقرب إلى التمام انتهت إليه بعد تدرج فى مراحل التطور .

فالفصحى ـ إذن ـ اللغة المتطورة الراقية . والتطور والرقي يتمان دائما على أيدى الخاصة والأعلياء لا العامة السوقة . واقتضى الحفاظ على تمام اللغة وضع القواعد التى تعصم اللسان والقلم من الخطأ . وتعوِّدهما البيان والبلاغة .

وتأتى القواعد متأخرة عن اللغة لسلامتها والمحافظة عليها . والقواعد خاصة بالفصحى . لأن العامية غير خاضعة للضبط والإحكام مثل الفصحى . وما ثم حرص على العامية حتى تحتاج إلى قواعد تضبطها وتعصمها من الخطأ . لأن كل خطأ بالنسبة للفصحى ليس بخطأ بالنسبة للعامية إلا فى حالات نادرة لم تكن بسبب الرغبة فى صونها . مثل التفرقة بين المذكر والمؤنث ليست قاعدة لغوية ؛ وإنما هي فى العامية ضرورة تقتضيها مغايرة أحد الجنسين للآخر .

والعامية غير خاضعة لقواعد الإعراب . إذ لو خضعت لها لما كانت عامية . وعندما تخضع لها تصبح فصيحة . لأن القواعد يقصد منها حماية الفصحى من الانحدار إلى العامية .

ولما كان الناس مختلفين فى الفكر والشعور فإن من الطبيعي أن يختلفوا فى التعبير بحسب ما وهب الله لهم من مواهب وبحسب أنصبتهم من التربية والتعليم .

وإذا كان الاختلاف طبيعيا بين الأدباء أنفسهم ـ وهم أرباب الفصحى ـ بحسب اختلافهم فى الفكر والشعور والذوق والعلم والثقافة اللغوية والمركز الاجتماعي فإن من

الطبيعي أن تكون فى كل مجتمع لغتان : فصحى وعامية . الفصحى للكتابة . والعـامية للحديث .

والاختلاف بين الفصحى والعامية تمليه الضرورة أو « الواقعية » التى لا تغالب . وهذا الاملاء الحتمي ليس مرضا حتى يزعم الزاعمون أن وجود فصحى وعامية فى لغة إنما هو انفصام لغوي أو ازدواجية فى اللغة .

وما دام وجود الفصحى والعامية أمرا طبيعيا فليس هو بداء يدفع الى طلب الدواء والتماس الشفاء منه . وإذا كان مرضا فلماذا يكون الشفاء منه بالتخلص من الفصحى ؟ أكانت هي الداء ؟.

لماذا لا يجعلون الدواء الفصحى نفسها ؟ ولماذا لا يعتدون العامية مرضا ؟ هنا مربط الفرس كما يقال : إنهم يريدون هدم الفصحى . لأنها لغة القرآن والإسلام والحديث ومحمد عليه الصلاة والسلام .

ولكن دعوة أعداء الإسلام الى العامية قد أصابها ما أصابهم فهلكوا هم ودعوتهم . وبقيت الفصحى وستبقى أبد الدهر لأن القرآن باق وخالد .

(٣) ازدواجية اللغة أو الانفصام اللغوي

فى حديثين سابقين رددنا على من زعموا ازدواجية العربية أو الانفصام اللغوى عنـد العرب . وبقي من الرد بقية نستوفيها فى هذا الحديث .

قال الأستاذ مصطفى زين فى مقاله المنشور بمجلة « المجلة » السعودية ما نصه :

« هذا الانفصام اللغوي كان ولايزال حجة لكثير من أعداء العربية . وبدل أن يأخذوا هذا الواقع ويعملوا عليه ليطوروا ما استطاعوا فى الفصحى والعامية على حد سواء اتخذوه حجة لمعاداة كل ما هو عربي ، خرجت دعوات مشبوهة تعمل على تقويض بنياننا اللغوي دون تقديم بديل مقنع سوى ما تيسر لها من « التعصب العنصري » وكان من الطبيعى ألا تلقى هذه الدعوات تجاوبا » .

فالأستاذ مصطفى زين يقر بالانفصام اللغوي الذى لا وجود له كما أوضحنا ذلك فى الحديثين السابقين .

أما رغبة الكاتب فى أن يقدم أعداء العربية البديل المقنع فقد قدموه وهو اتخاذ العامية دون أن يبالوا أهو بديل يقنع أصحاب اللغة أو لا يقنعهم ، ويكفى اقتناعهم هم ، لأنهم يرون أنفسهم أوصياء على العرب .

ويظهر أن الكاتب وافق على البديل فى جانب من الأدب اقتناعا منه به فقال :

« وكان أن سحب هذا الانفصام اللغوي نفسه على المسرح . فمن قائل بمسرح يعتمد الفصحى . إلى قائل بمسرح يعتمد العامية . الى صاحب موقف توفيقي يكتب صاحبه مسرحا بلغة فصيحة مبسطة قريبة من العامية .

« غير أن المسرح المكتوب باللغة المحكية بقي الأكثر التصاقا بجمهوره والأكثر قدرة على التعبير عن قضاياه . وأصبح المسرح الفصيح نادرا على امتداد رقعة العالم العربي . وكان هذا سببا رئيسيا فى عدم نشوء ازمة مسرحية واحدة . وبالتالى مسرح عربي واحد . وقد يكون من الأفضل الإبقاء على مسارح عربية عدة بلهجات مختلفة من توحيدها تحت سلطة اللغة الأم . فنخسر عندها التنوع ونخسر الحرية التى تتيحها اللهجات العامية التى تعطى الممثل قدرة أكبر على الحركة . إذ يتخلص من الضوابط والقوانين اللغوية » .

ويظهر من أقوال السيد مصطفى زين أنه مقتنع بصحة وجود انفصام لغوي عند العرب . ومقر بوجوده فى لغة المسرح . ويرى أن اتخاذ العامية فى المسرح اجدى . لأنها الصق بالنظارة وأكثر قدرة على التعبير . ويدعو إلى أداء مسرح كل قطر عربي بلهجته العامية . لأن تنوع اللهجات أفضل من الوحدة العربية الممثلة فى الفصحى .

وخطل هذا الرأي وهذه الدعوة ليس بخفي . بل واضح مبين . فأنا مع معاشرتى لكثير من أبناء الأقطار العربية فإن كثيرا من الألفاظ العامية لا أفهمها . وعامة الناس وخاصتهم لا يفهمون لهجات غيرهم العامية .

بل إن أبناء القطر الواحد لا يفهم بعضهم لهجات بعض . فسعيد عقل أحد كبار الحاقدين على الفصحى والقرآن والحديث والإسلام والعروبة كتب مقدمة ديوان « جلّنار » باللغة اللبنانية العامية للشاعر ميشال طراد المطبوع سنة ١٩٥١ م ومات الديوان يوم صدوره . مات فى لبنان نفسه وفى بيروت عاصمة لبنان . لأن سعيد عقل كتب المقدمة بعامية زحلة بلد سعيد عقل .

ولهجة زحلة تغاير لهجة بيروت وطرابلس وعاليه وصوفر وبحمدون وغيرهـا من المدن والقرى اللبنانية .

وعرض في التلفزيون السعودي فلم « الذئب وعيون المدينة » وهو فلم عراقي وممثلوه عراقيون . وكانت لهجتهم عراقية . فلم أفهم بعض الكلمات .

ومنذ عشرين سنة كنت بالعراق ؛ وكتبت في « قائمة » الطعام ما أريد وبينه « الأرز » فلم يحضره الخادم ولم يبعثه مطعم الفندق . لأنهما لم يعرفـا « الأرز » فكتبـت اسمـه بالانجليزية فأحضروه فقلت : اسمه العربي الأرز . فقال تِـمَّنْ . وأعطيت ثوبي لغسله وطلبته ولم يحضروه لأنهم لم يفهموا معني الثوب . وعجزت عن شرحه لهم . بل شرحته لهم فعجزوا عن فهمه . واضطررت للنزول الى الاستعلامات . وبعد جهد جهيد فهموا وقالوا : اسمه « دشداشة » .

وذات مرة سمعت من إسرائيل حديثا بلهجة الجزائر العامية فظننـت الحـديث بلغـة أجنبية . وبعد تمعن دقيق عرفت أنه يتحدث بعامية الجزائر .

وكذلك اذا تحدث تونسيون أو مغاربة فيما بينهم بلهجتهم لا أفهم ما يقولون .

فلهجة كل بلد خاصة به . فاذا اتخذ لتدوين الأدب احتيج الى ترجمته . ولهذا لا يصلح للأدب غير الفصحى التي يفهمها كل أبناء الأقطار العربية .

اللغة العربية ليست اللغة المتقعرة

قرأت فى جريدة « المدينة المنورة » بملحقها الأدبى الذى يشرف عليه الأستاذ سباعى عثمان حديثا للأستاذ محمد المزالى رئيس وزراء تونس . ومؤسس مجلة « الفكر » الراقية نقلته عنها جريدة « المدينة » .

والأستاذ مزالى من كبار أدباء تونس . بل من أدباء العرب المعدودين المعاصرين . وأسلوبه فى الكتابة رائع مشرق .

وشرفه ـ وهو أديب ـ أعظم من شرفه وهو رئيس وزراء وحكومة . والفارق بين الشرفين عظيم . فشرف الأدب والعلم أعظم وأبقى . فهو سيقال فيه ذات يوم : رئيس الوزراء السابق . بل قيل فى الملوك الذين تركوا العرش : الملوك السابقون ومنذ زمن قريب قالوا فى شاه ايران الذى كان من أعظم ملوك الأرض أيدا ومالا وجاها وسلطانا : الملك السابق .

وكذلك يقال عن كل ذى منصب تركه : رئيس الجمهورية السابق . ووزير المالية السابق . ووزير الثقافة السابق .

أما الأديب فلا يقال فيه : الأديب السابق . والشاعر السابق . والعالم السابق . لأن الأدب ليس منصبا يغادر . أو ثوبا يخلع . وإنما صفة ملازمة لصاحبه ما تنفك عنه وإن تركه بل تبقى أبدا .

فالأستاذ محمد المزالى الأديب العالم باق مذكور . فشرف الأدب والعلم باق ، وشرف المنصب والحكم والسلطان زائل .

ولا شك أن الأديب عندما يتولى منصبا رفيعا ينفع أكثر ممن ليس بأديب ، وقد رأينا آثار بعض الأدباء الذين تولوا منصب الوزارة فكانت خير الآثار وأعظمها بالنسبة إلى من خلفوهم أو سبقوهم من غير الأدباء .

ففى مصر تولى وزارة التربية والتعليم محمد حسين هيكل وطه حسين ـ رحمهما الله ـ فصنعا لبلدهما وللفكر والخلق والوزارة نفسها من الخير ما هو كثير وجدٌ كثير . ومن الأعمال العظيمة ما هو جليل وجدٌ جليل .

ورأينا فى بلادنا ما ترك الأدباء من آثار عندما تولوا منصب الوزارة مثل الأديبين الكبيرين محمد عمر توفيق وحسين عرب . ومثل الكاتب المبدع الدكتور محمد عبده يمانى والشاعر غازى القصيبى .

ونشر حديث الأستاذ مزالى فى مجلة « الفكر » التونسية ونقلته عنها جريدة « المدينة المنورة » التى قدمه محرر الصفحة الأدبية الأستاذ سباعى عثمان بقوله :

« ونظرا لأهمية الآراء التى أدلى بها الأستاذ مزالى رأت المدينة الأدبية أن تلخصها علها تكون منطلقا للمناقشات وإثراء الحوار » .

وقالت الجريدة : « كان السؤال الأول يتعلق بعضوية مزالى فى المجمع اللغوى العراقى وعضويته بعدة مجامع عربية أخرى بهدف عرض رأيه فى إمكانية تطوير هذه المجامع حتى يكتسب دورها فاعلية أكثر » .

هذا السؤال نقلته بنصه وكان أسلوبه غاية فى الركاكة والابتذال ، وفيه غلطات فى اللغة مثل : إمكانية وفاعلية وفى غير اللغة كقوله : المجمع اللغوى العراقى . واسمه الصحيح المجمع العلمى العراقى .

وأجاب الأستاذ مزالى قائلا : « فيما يخص السؤال المطروح وبكل صدق لأرى أن هذه

المجامع اللغوية العربية مدعوة لا إلى مضاعفة عملها فحسب . بل إلى تطويره لمزيد من القدرة على المشاكل الكبرى التى تعترض اللغة العربية اليوم الخ » .

أحسب أن هذه الصياغة ليست للأستاذ مزالى وإنما لمن أجرى الحديث معه . فهذه الفقرة ركيكة . وتركيبها مختل وغير متفق مع سنن العربية مثل « مدعوة لا الى مضاعفة » فاقحام « لا » هنا أخل بهندسة بناء الجملة .

وأعتقد أن الأستاذ مزالى أرفع من أن يهبط إلى هذه الركاكة . والذى بقى فى ذاكرتى مما قرأت له قبل بضع سنوات حينما كانت تصلنى مجلة « الفكر » ومن قراءة أحد كتبه أن له أسلوبا عربيا سليما . وهندسة بناء الجمل هندسة متقنة . وعربيته صحيحة .

وهذا ما يجعلنى أقرر أن صياغة الجمل المنسوبة إليه ليست من إنشائه . فهو لن ينحدر لغة وأسلوبا . لأنه من ذوى البيان والفصاحة .

ويقول الأستاذ مزالى فى واقع المجامع اللغوية : « واقع يتميز أو يتصف بعدة مشاكل وسلبيات منها : الصراع والتنافس أو على الأقل التواجد (كذا) بالمعنى المكانى بين لغة عربية وبين لهجات عامة بحيث ان اللغة العربية فى بعض الأحيان ليست هى اللغة التى يستعملها الشعب فى قضاء شؤونه اليومية . وثانيا إن اللغة العربية نفسها تتأرجح بين اللغة ذات المستوى الأدبى الرفيع أو المكتوب وبين ضرورة الاستعمال والوسائل السمعية البصرية بحيث إن هناك ضرورات لتطوير اللغة العربية للوصول إلى لغة عربية سليمة تقف وسطا بين اللغة المتقعرة (لغة الخواص) وبين اللغة البسيطة التى يتداولها عامة الناس الخ » .

وأنا لا أرى صراعا بين الفصحى والعامية . وإذا كان هناك صراع بينهما فعلى أى شيئ ؟ أتريد الفصحى أن تحل محل العامية فتكون لغة الكتاب والخطاب ؟ أو تريد العامية أن تزوي الفصحى وتحل مكانها فتكون لغة الكتابة والعلم كما هى لغة التخاطب ؟.

لا تريد إحداهما الحلول محل الأخرى . وإن كان المتعلمون يريدون ويعملون على

تقريب الشقة بين الفصحى والعامية . وقد أخذت العامية تقترب من الفصحى . فعامية كل قطر عربى الآن ليست العامية التى كانت قبل ثلاثين سنة أو أربعين أو خمسين سنة . ففى المجتمع الحجازى المتحضر قد اختفت مئات الكلمات العامية والصيغ والكنايات والأمثال . وشاعت فى العامية كلمات حديثة وتعبيرات جديدة .

وكذلك الشأن فى الأقطار العربية الأخرى .

أما « أن اللغة العربية فى بعض الأحيان ليست هى التى يستعملها الشعب فى قضاء شؤونه اليومية » كما يقول الأستاذ مزالى ففى مقولته هذه نظر : أولا ـ ليست اللغة العربية الفصحى هى التى تستعمل فى الشؤون اليومية فى بعض الأحيان بل فى كل الأحيان غير مستعملة فى شؤون الشعب اليومية .

ثانيا : توهم عبارة الأستاذ مزالى أن وجود فصحى وعامية خصيصة تتفرَّد بها اللغة العربية : مع أن كل لغات الأرض متفقة مع العربية فى ذلك .

والأستاذ مزالى يعرف أن للفرنسية التى يجيدها فصحى للكتابة . وعامية للتخاطب . وليست لغة موحدة فى الكتابة والحديث .

ويؤكد الأستاذ مزالى ما زعمه وكأنه حقيقة أو كأنه خصيصة تتفرَّد بها العربية إذ يقول : « اللغة العربية نفسها تتأرجح بين اللغة ذات المستوى الأدبى الرفيع أو المكتوب وبين ضرورة الاستعمال الخ » .

والعربية لا تتأرجح بين الفصحى والعامية . فالفصحى واضحة المعالم بينة السمات . ذات قواعد راسخة . ولا تُتَّهم بالتأرجح المشتق من الأرجوحة . تميل مرة إلى ناحية وأخرى إلى أخرى . ومعاذ الله أن تكون لغة كتابه العزيز كما زعم .

وما أدرى كيف يمعن الأستاذ مزالى العليم بالعربية فى اتهامها وهو من خير من يعرفون مزاياها ومرونتها وخصائصها النادرة ومن أقوى من يدافعون عنها أباطيل أعدائها .

وإنى لأدهش من مقولته هذه : « لغة عربية سليمة تقف وسطا بين اللغة المتقعرة (لغة الخواص) وبين اللغة البسيطة التى يتداولها عامة الناس » .

فهو يتهم العربية الفصحى العالية لغة الخواص بالتقعر وما هذا الاتهام بصحيح . وأنا أسأله : ألغتك التى تكتب بها متقعرة ؟.

ثم إن لغة الخواص لغة فصيحة رائعة جميلة لطيفة شاعرة سهلة سمحة . وما ورد فى كلام فصيح تقعر .

وما أدرى كيف تورط الأستاذ مزالى فوقع فى قعر هذه الأبطولة ؟! إنه يعرف أن معنى قعر (على وزن هذب) فى كلامه وتقعر (مثل تقدم) : تشدق وتكلم بأقصى قعر فمه . وقيل : تكلم بأقصى حلقه . والتقعير فى الكلام : التشدق فيه . والتشدق : أن تلوي الشدق للتفصح . وتشدق بالكلام وفيه : توسع فى الكلام من غير احتياط واحتراز . والشدق : زاوية الفم من داخل الخدين .

فهل ينطبق هذا الوصف على « الخواص » ؟ كلا .

والتقعر فى أساس معناه وصف للكلام وليس وصفا للكتابة إلا على سبيل المجاز . وكان العرب وما يزالون يعدون المتقعرين والمتشدقين والمتفيهقين والمتنطعين والمتكلفين غير فصحاء ولا بلغاء . ويتندرون بهم ويضحكون عليهم .

والخواص ينزهون ألسنتهم وأقلامهم عن حوشي الكلام . ولهذا خلا من القرآن الكريم وكلام سيد البلغاء محمد صلى الله عليه وسلم وكل البلغاء من الشعراء والكتاب .

ووصف الفصحى بأنها « اللغة المتقعِّرة » إثم مبين يجب أن يستغفر الأستاذ مزالى ربه منه . فما توصف لغة القرآن خير لغات البشر وأعظمها بذلك الوصف الشائن المقبوح الذى لم يصفها به أخبث أعدائها بله أحد أصفيائها .

ليس الإعراب نافلة ولا حلية

بين الدعاة إلى إلغاء الاعراب أناس مسلمون ليسوا بأعداء الاسلام والعربية . ولكنهم أغبياء مقلدون . بينهم كاتب سعودي يدعى التجديد . وما هو بمجدد . وإنما يقلد التجديد تقليدا منكرا .

ويضاف إلى التقليد جهله المطبق بحقيقة الاعراب وجوهره فى لغة القرآن . وبرهان هذا الجهل قوله :

« إن علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمي الذى تحققه اللفظة والجملة . فالعلامة حلية ـ مجرد حلية ـ للكلمة المفردة . وهي بهذا الاعتبار لا يمكن أن تكون عضوا فى جسم اللغة . لأن العضو إذا بتر يشوه الجسم وينقص منه . ولكن الحلية يستحيل أن تكون لها هذه القيمة الذاتية . فأنت لو جردت الغانية الحسناء من كل حلاها الخارجية حتى الذهبية والماسية واللؤلؤية لظلت كما هي غانية حسناء . وبشرا سويا تام الأعضاء متكامل الأجزاء لا نقص فيه . لأن الحلية لا ينقص الجسم المحلىَّ بها بنقصها ولا يزيد بزيادتها[1] » .

---

(١) نقلنا هذا الشاهد من مقال لهذا الكاتب منشور بصحيفة الرائد بالعدد الصادر فى يوم ١٣٨٣/٣/٢٢ هـ .

هذا الكاتب لم يفهم حقيقة الإعراب ولا قيمته . وظن حركته منفصلة عن الحرف . ويمكن أن يتجرد منها . ويضيف الكاتب إلى جهله حقيقة الإعراب وقيمته فقدانه تصوُّر حركة الإعراب .

الإعراب ليس حلية يمكن للكلمة أن تتجرد عنها . بل هي من بنيتها . وهى جزء منها لا يمكن فصل الحركة عن الكلمة . بل ذلك مستحيل . فالكلمة العربية لا تُنطق إلا بحركاتها .

وجمعني بالكاتب مجلس شاعر كبير . وكان يحسب أنه جاء بما لم يجئ به أحد . وظن أن ما جاء به شيء آية فى العظمة والعبقرية . وردد المثل بالغانية وحلاها . فقلت له : من فضلك . جرِّد الكلمة من حركاتها كما تجرد الحسناء من عقدها وسوارها . جرِّد قول الله تعالى : (قولٌ معرُوفٌ ومغفرةٌ خيرٌ من صدقة يتبعُها أذًى واللهُ غنيٌ حليمٌ[1]) فبُهت .

وأما زعمه إن علامات الإعراب لا تمثل اللغة ولا تحدد مفهومها العلمي . فسلسلة من الجهالات . إن علامات الإعراب فى لغتنا العربية من صميمها وهي التى تحدد المفهوم . ومن غيرها لا يتحدد مفهوم ولا معنى .

وعجيب أن يصدر هذا الزعم من كاتب يقرأ ويكتب حتى يجهل ما يعلمه العربي بالبداهة وبشيء يسير من العلم .

وأعداء الإسلام والقرآن عندما دعوا إلى إلغاء الإعراب كانوا على يقين من أن العربية لا تبقى بغير الإعراب . ولهذا دعوا إلى إلغائه لتنتهي الفصحى إلى الزوال . وليتم لهم بذلك نسف العربية نسفا .

أما هذا الكاتب فدفعه التقليد والجهل إلى أن يزعم ما زعم متوهما أن زعمه المنكر تجديد وابتكار . وما هو إلا تخريف وجهل .

ولما كان هذا الكاتب مفتونا بالعقاد فنحن نستشهد بقوله الذى هو ـ فى ميزان الحق ـ فصل الخطاب فى مسألة الإعراب ..

---

(١) البقرة : ٢٦٣

يقول العقاد[1] رحمه الله :

« عندنا وعند أنصار الفصحى أجمعين أن مسألة القواعد قد فُرغ منها في عصرنا . فلا يجوز لنا أن نلغيها . ولا أن نستحدث بديلا يناقضها . وكل ما يجوز لنا أن نتوسع في تطبيقها . وأن نقيس عليها ما يماثلها . وأن نحرص على بقاء نحوها وصرفها . لأن لغتنا ـ خاصة ـ لا تبقى بغير الإعراب . ولا تصح المشابهة بينها وبين اللغات التي لا إعراب فيها ولا اشتقاق . لأن قوام اللغات القائمة على النحت ولصق المفردات غير قوام اللغة التي تختلف بالحركة في كل موقع من مواقع الحروف . ولا سيما الحروف التي يقع عليها الإعراب .

« فليست أواخر الكلمات وحدها هي التي تتغير معانيها بالحركة . بل يتغير معنى الكلمة بالحركة في أول الكلمة ووسطها حتى تتبدل من المعلوم إلى المجهول . ومن الفاعلية إلى المفعولية . ومن التكلم إلى الخطاب . ومن التخفيف إلى التشديد بلفظه ومعناه .

ونحسب أننا لم نستخف بالحركة ودلالتها القوية في اللغة العربية إلا بعد شيوع الكتابة وشيوع الظن بأن الحركة نافلة . لأنها لا تثبت مع الحروف . ولكن حروف العلة كانت كذلك لا تثبت في أول العهد بالكتابة وهي ما هي من القيمة الجوهرية في معاني الأصول والمشتقات » .

فالحركات في الكلمة أصيلة أصالة حروفها . ولكن هذا الداعية ظن الحركات إضافة زائدة . لأنها لا تثبت في الكتابة رغبة في الاختصار . ولم يفطن إلى النطق . فما من كلمة إلا وحركات أحرفها من بنيتها . وجزء لا ينفصل عنها . بل يستحيل في العربية وجود كلمة مجردة من الحركات .

---

(١) مقدمة صحاح الجوهري . تحقيق أحمد عبد الغفور عطار .

إلغاء الإعراب

الذين يحاربون الفصحى إنما يحاربونها لأنها لغة القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف ولغة الإسلام .

يحاربون الإسلام فحاربوا الفصحى وعملوا بكل ما يملكون هم ودولهم الصليبية من قوة لهدم لغة القرآن فجاءوا بدعوات مختلفة تلتقى جميعا فى هدم الفصحى . ومن هذه الدعوات الهدامة : إلغاء الاعراب .

وسمة العربية الفصحى الاعراب ،وهو الذى يحدد المعاني . ورُبَّ حركة فى الاعراب أو فى بناء الكلمة تغير المعنى من النقيض إلى النقيض فإذا ادعى عليك مُدَّعٍ بمال . وقلت : مالهُ عندى (بفتح لام ماله) فقد نفيت دعواه . وإذا قلت : مالُهُ عندى (بضم اللام) فقد اعترفت له بمال . واختلف باختلاف حركة اللام الألفاظ مع المعانى . فإذا فتحت اللام فقد صارت « ما » كلمة . واللام المفتوحة لام جر . والهاء ضمير فى محل جر . وإذا ضممت اللام فتكون « مالُ » من « مالُه » خبر مقدم مرفوع بالضمة الظاهرة :

وهناك من الخلاف غير ما ذكرنا ينجم عن اختلاف حركة اللام فتحا أو ضما .

وحركات الاعراب ليست حلية تأتى من خارج الكلمة . ولا فضلةً يمكن الاستغناء

عنها . بل الحركات بعامة أصيلة فى الكلمة العربية . ولا يمكن نطق الكلمة العربية دون حركات الأحرف التى تتكون منها الكلمة . بل يستحيل تجريدها من الحركات .

وأما حركات الإعراب فهي التى تأتى فى أواخر الكلم . وتختلف باختلاف موقع الكلمة من الإعراب . فتكون تارة مفتوحة وتارة مضمومة وتارة مكسورة . وتختفى الحركة عند الوقوف ليحل محلها السكون . ولا يمكن تجريدها منها .

وإلغاء الإعراب من الفصحى يقضى عليها قضاء مبرما . ويحيلها إلى لغة عامية . وعندما تتحول الفصحى إلى عامية يبلغ الأعداء غرضهم . ويُقضى على بلاغة العرب وفصاحتهم وكل قواعد لغتهم .

وليس قاسم أمين وحده الذى دعا إلى إلغاء الإعراب ولا سلامه موسي بل شاركهما فى هذه الدعوة الخطيرة غيرهما من أعداء الفصحى . وقد جاءوا بالبديل الذى يحل محل الاعراب وهو السكون .

يقول سلامة موسى(١) : « وقد اقترح (أي قاسم أمين) أن يُلغى الاعراب فتُسكَّن أواخر الكلمات » .

وقاسم أمين وسلامة موسى وأمثالهما من أعداء الفصحى شغلهم العداء حتى عن الواقع السهل 'دراكه فأسرفوا فى دعوتهم إلى إلغاء الاعراب . وفاتهم أن الإعراب ضرورة لابد منها لا، هار المقصود من الكلام . فاذا نفذنا مُقترحهم وسكَّنا أواخر الكلمات وقلنا : ضربْ محمدْ عليّ لم نفهم أمحمدٌ هو الضارب وعليٌّ هو المضروب ؟ أم أن محمدا وعليا اسم واحد ؟ ووقعنا فى إشكال ولبس . واللغة لم تجئ إلا للابانة .

والعامة كانوا أصح فهما لوظيفة اللغة وأسلم وعيا وإدراكا من قاسم أمين وسلامة موسى ومن ذهبوا مذهبهما وأدركوا المتيهة التى يقع فيها المخاطب إذا قيل له بالعامية التى تسكِّنُ أواخر الكلمات فى الأغلب الأعم : ضرب محمد عليّ فتحاشوا هذا اللبس بأن وضعوا

---

(١) مقاله المنشور بمجلة الهلال سنة ١٩٢٧ م.

للفاعل قاعدة خاصة وهي تقديم الفاعل على الفعل فيقول : محمد ضرب عليٌّ .

وتسكين أواخر الكلمات يقضى على قواعد العربية وعلى البلاغة والفصاحة والبيان الرفيع ، وعلى فن القول ، وعلى بحور الشعر ، وموسيقى الكلم وعلى كل ما فى الفصحى من جمال .

والجملة التى تقرأ بالإعراب فى خمس ثوان تقرأ بالتسكين فى عشر ، وفى هذا إطالة لزمن المتكلم . وهي إطالة لا ضرورة لها ، بل إطالة يمجها السامع ، ويضيق بها المتكلم .

وليجرب الدعاة فيلقى أحدهم محاضرة يلتزم فى إلقائها إلغاء الاعراب بتسكين أواخر الكلمات ، إنهم لن يستطيعوا ، وإذا حاولوا فسيُرهقون ألسنتهم وأنفسهم إرهاقا .

ومع أن قاسم أمين وسلامة موسى قاما بالدعوة إلى إلغاء الإعراب فإنهم لم يأخذا قط أنفسهما بما دعوا إليه ، فما أكثر ما ألقيا من خطب ومحاضرات ! وكان كلاهما شديد التمسك بالإعراب ، حتى أن سلامة موسى ما كان يقف على الكلمة بالسكون إذا خطب ، وقد سمعته غير مرة يخطب .

فالدعاة إلى إلغاء الإعراب كانوا أول الكافرين بدعوتهم ، وهذا برهان فساد الدعوة واستحالة تطبيقها .

عودة إلى إلغاء الإعراب

إذا سألنا الدعاة إلى إلغاء الإعراب : لماذا نلغي الإعراب ؟ أجابوا : لأن عامة الشعب لا يحسن الإعراب ولا يعرفونه ، ومن يحسنه أفراد قلائل هم من الارستقراطيين .

ويدعى الدعاة أن رغبتهم فى التيسير والتسهيل وتجنُّب الخطأ هي التى تدفعهم إلى أن يطلقوا دعوتهم إلى إلغاء الإعراب .

وكما أن دعوتهم إلى إلغاء الإعراب أبطولة من الأباطيل فكذلك كل زعماتهم .

ونحن نسأل : أصحيح أن الذين يحسنون الإعراب هم الارستقراطيون ؟ إن سلامة موسى ادعى هذه الدعوة وسمي أدب العقاد وطه حسين أدبا ارستقراطيا أو أدبا « ملوكيا » حسب تعبيره .

وتلك من أباطيل سلامة موسى . فندر بين الارستقراطيين فى عالمنا العربى من يحسن العربية ويكتب بها . وطه والعقاد وأمثالهما من الكادحين . من البروليتاريا على لغة الشيوعيين والاشتراكيين .

ومن أكاذيب الدعاة افتعال الغيرة وادعاؤها . فما يصدق ذو عقل أن فولرّس وولكوكس وأمثالهما من غلاة الاستعماريين ومن أعدى أعداء العروبة والاسلام يغارون على العرب ويريدون لهم الخير .

ولو صح ما زعموا لما شجعوا حكوماتهم على قهر الشعوب الضعيفة وسلب خيرات بلادهم ، ونهب أموالهم ، واستعبادهم واضطهادهم .

وإذا كان عذر هؤلاء الدعاة أنهم أعداء العرب ومن غير جنسهم أو من عبيد الغرب المسخرين اذا شاركوا سادتهم الدعوة من أمثال سلامة موسى فما عذر أناس من بلادنا عندما يزعم زاعم منهم أن الحركات فضلة يستغنى عنها .

إذا وافقنا ـ جدلا ـ على إلغاء الإعراب وهو حركة الحرف الأخير فما نحن فاعلون فى الحركات التى تسبق حركة الإعراب ؟ من المستحيل فى اللغة العربية تجريد أحرف الكلمة من الحركات التى هي جزء أصيل فى بنية الكلمة .

وإلغاء الحركات من الكلمة مستحيل ، أما إلغاء الإعراب فممكن ، ولكن عندما نلغيه من الكلام الفصيح نجعله كلاما عاميا ، وعندما نلغيه إنما نستبدل بحركة الإعراب السكون ، وهذا ما نفعله عندما نقف على آخر الكلمة ، ولكن هذا الامكان عسير أشد العسر إذا ألغيناه ، بل متعذر ، وعندما نلغيه من الشعر العربي نلغى الشعر نفسه ، لأنه يتحول إلى نثر ركيك مضطرب ، وعندما نلغيه من القرآن الكريم لا يكون حينئذ قرآنا .
وإن إلغاء الإعراب من القرآن ردة والعياذ بالله .

وبديهي أن القرآن الكريم حجة العربية ومعجزتها العظمى ، ولا يسع البشر جميعا ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن ، بل لا يمكنهم أن يأتوا بآية من مثل آياته .

فاذا ألغينا إعراب القرآن تجرد من المعجزة ومن كونه حجة العربية ، وفقد كل سماته ، فالقرآن يُتلى كما تلقاه نبي الهدى من الله تبارك وتعالى ، وإن تغيير حركة فى كلمة من كلماته حين التلاوة عمدا وقصدا يُقذفُ بمن يفعل ذلك إلى حظيرة الكفر والالحاد قذفا .

وإذا كانت الأمانة تقضى على الانسان ألا يحرف نصَّ آخر فإن من الفرض المحافظة على كل حرف فى القرآن محافظة تصون له قداسة الوحي .

وإن من الجرأة على الحق وعلى كتاب الله الدعوةً إلى إلغاء إعرابه . وهي جرأة لا تصدر إلا من كافر لئيم ، أو من مرتد أثيم ، وما صدرت إلا من صليبيين جاهروا بعداء الفصحى والقرآن بخاصة .

وما كانت اللغة العربية الفصحى فصحى إلا بالإعراب الذى هو عمودها . ومتى فقدت الإعراب فقدت العربية وجهها وحقيقتها ، والإعراب عمود العربية أو عمادها ، ومن ترك إعرابها فقد هدم العربية .

ودعوة إلغاء الإعراب دعوة ولدت ميتة ، ولولا التاريخ لما ذكرها الذاكرون ، ومع أنها ميتة فإن دعاة من الكافرين أو من الجاهلين يرددونها بين حين وآخر بقصد الإساءة إلى لغة القرآن وإلى القرآن نفسه .

أما الجهلة من العرب المسلمين فيرددون الدعوة يتوهمون أنهم بذلك من المجددين . وما هم إلا من أغبياء المقلدين .

أبناء هذه الأيام لا يعرفون الأمثال

لكل لغات العالم ومنها العربية آدابها ومأثوراتها اللسانية والبيانية التى منها الأمثال التى تعد من أصدق فنون الأدب . وأصفى المرايا التى تعكس عادات أهلها وثقافاتهم وحياتهم ومهنهم ومدى حضارتهم وسلامة أذواقهم أو فسادها .

فمثل : لا يفلّ الحديد الا الحديدُ يدل على حضارة أهله . وأنهم يعرفون الصناعات المتخذة من الحديد .

ومثل : ما حك جلدك مثلُ ظفرُك . يدل على أن أصحابه قليلو النظافة . ولهذا يحكون جلدهم .

والمثل البنغالي : الراقصة العرجاء تتهم المسرح بالانحدار . يدل على رهافة الإحساس وحسن الذوق والاهتمام بالفن .

والمثل الصينى : ألف ريال لا تشترى بها ضحكة واحدة . يدل على التفاؤل والزهد فى المال .

والمثل العامي الحجازي : أكل وراحة يربُو ملاحة . يدل على الترف والنعيم .

والمثل غير الحكمة والكناية ، وإن كان يشملها أحيانا ، فهو القول السائر بين الناس الممثَّل بمضربه ؛ أي الحالة الأصلية التى ورد فيها الكلام .

وألفاظ الأمثال لا تُغيرَّ تذكيرا أو تأنيثا وإفرادا وتثنية وجمعا. بل يُنظر فيها دائما إلى مورد المثل ، أي اصله ، والمثل ـ أيضا ـ : الحجة .

وأما الحكمة فهي الكلام الموافق للحق ، وصوابُ الأمر وسداده ، والتفكير الذى يدل على السداد ، وكل كلام وجيز يجُمع فيه بعض تجارب الحياة النافعة .

والحكمة فى معناها العملي : القدرة على حل المشكلات ، وهناك معان للحكمة منها : العقل ، والعدل ، والنصيحة ، والعلم ، والحلم .

والكناية ـ فى اللغة ـ : ما يتكلم به الانسان ويريد به غيره ، وفى الاصطلاح : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة ذلك المعنى ، مثل : علي طويل النجاد ، والنجاد : حمائل السيف ، وطويل النجاد : طويل حمائل السيف ، وهذا غير مقصود ، وإنما أريد أن عليا طويل القامة .

وطبيعى أن طول النجاد يستلزم طول القامة ، بل كل منهما ملازم للآخر .

فالمثل والحكمة والكناية أقوال سائرة ، ولكن لكل منها تعريفه الذى يميزه عن الآخرين ، إلا أن المثل قد يضم الحكمة والكناية اللتين لا يمكن أن تضماه .

وفى جيل أبى واخوتى الذين كانوا يكبروننى كانت أحاديثهم الدارجة لا تخلو من الأمثال ، وكذلك جيلنا ، كان حديثه لا يخلو الأمثال .

أما أجيال هذه الأيام فى كل أقطار العروبة لا يعرفون الأمثال ، ولهذا خلت كل أحاديثهم منها ، ولا يفهمون معنى المثل إذا طرق سمعهم ، سواء أكان المثل فصيحا أم عاميا .

وكثير من الشباب من خريجى الجامعات لا يعرفون الأمثال الفصيحة ، لأنها لا تُدرَّس ، فاذا جاء المثل فى كتاب أو مثال وشرحه الأستاذ للطالب عرفه وقد ينساه لأن عدوى ظاهرة

انزواء الأمثال من الألسنة وامحّائها من الذاكرة أصابت الشباب جميعا .

وليس هذا الأمر بمقصور على شباب بلادنا ، بل هي ظاهرة عامة بين شباب العالم العربي كله .

ونحن أصابتنا العدوى أيضا ، فلم نعد نستعمل الأمثال فى أحاديثنا ، لأن من نحدثهم من الشباب لا يفهمون معانيها ، فنضطر إلى إخلاء أحاديثنا منها حتى لا نستعمل ما لا معنى له . وإن مخاطبة الناس على قدر عقولهم من مكارم الأخلاق .

وهكذا خلت اللغة العامية من الأمثال فخلت من جانب رائع من جوانبها الأدبية .

وألف بعض الأدباء فى مختلف أقطار العربية كتبا فى الأمثال العامية جمعت طائفة كبيرة منها ، وأذكر على سبيل المثال الأستاذ حسين عبد الله محضر ـ رحمه الله ـ الذى ألف كتابا لطيفا فى أمثال الحجاز العامية ، وإن كان موته ترك فراغا لأمثال عامية كثيرة فى حاجة إلى من يجمعها ويدوِّنها فيملأ ذلك الفراغ .

وأنا وإن كنت خصما للعامية إلا أننى أستثنى من خصومتى إياها الأمثال ، لأنها مرآة تعكس حياتنا الاجتماعية والأدبية والثقافية وعاداتنا وتقاليدنا التى لم ندوِّنها فدونتها الأمثال .

وكثير من أمثالنا العامية من الفصحى حرفتها العامية ، وعندما يقوم الدارسون بجمع الأمثال العامية الحجازية ودراستها ومقارنتها بالأمثال الفصيحة فسيجدون طائفة كبيرة منها فى العامية التى أخذت من الفصحى آلاف الكلمات ، وحرَّفت بعضها كما حرفت ما أخذت من الفصحى .

وذات سنة عنت لى فكرة جمع أمثال الحجاز العامية ومقارنتها بأمثال شعوب الأمة العربية كالعراق ومصر والأردن والسودان وسوريا والبحرين وتونس ، ثم ذكر ما يقابله من أمثال الفصحى ، وذكرت من أمثال بعض الأقطار الاسلامية والأوربية طائفة طيبة ، وقطعت فى العمل شوطا ثم تركته ، ثم ضاعت الأوراق ففقدتُ بحثا لطيفا .

وفى بلادنا من جمعوا الأمثال العامية . فبعض أدباء نجد جمعوا أمثالها . وكذلك الحجاز . ومن الدراسات فى باب الأمثال ما كتبه الدكتور عمر الطيب الساسي فى الأمثال الألمانية مع ذكر ما يقابلها فى العربية .

ودار الحديث غير مرة فى الأمثال وكان الدكتور أحمد خالد البدلي حاضرا . وذكر من حافظته طائفة من الأمثال الفارسية وما يقابلها من الأمثال العربية الفصيحة . ولكنى لا أدرى إذا كان ترجم الأمثال الفارسية ومعانيها وما يقابلها فى العربية . وإذا لم يقم بذلك فأرجو أن يقوم به . لأن فى ذلك خدمة للأدب العربى .

والدكتور البدلي حصل على الدكتوراه فى التاريخ من إحدى جامعات طهران . أما الدكتور الساسي فقد نال الدكتوراه من إحدى جامعات ألمانيا الغربية .

وما دام شباب هذه الأيام منصرفين عن الأمثال كل الانصراف فإن من الخير تدوين الأمثال العامية فى الحجاز حاضرة وبادية قبل أن يمحو النسيان منها ما نحن بحاجة إلى الاستدلال به على لهجات أهل الحجاز وما فيها من الغريب الفصيح . وعلى العادات والقيم الأخلاقية وآداب اللياقة والسلوك . وعلى ثقافة العامة وأفكارهم وحياتهم الاجتماعية . وعلى التطور وما حدث فى المجتمع من تغيير كبير قضى على كثير من الموروثات الأصيلة .

ونحن الذين أدركنا الحياة منذ خمسين سنة إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية (١٣٥٩ هـ /١٩٣٩ م) بسنوات ندرك هذا التغيير الذى تناول مجتمعنا من جميع نواحيه الفكرية والثقافية والاجتماعية . حتى أنسانا الجديد ما سبقه .

هندسة بيوتنا تغيرت . فنقلنا هندسة الغرب التى لا تصلح لبلادنا المسلمة . فعلى سبيل المثال : الشرفات لا تتفق مع ديننا . فلا نحن الرجال نستطيع أن نجلس فيها حتى لا نتطلع إلى الناس من نوافذ بيوتهم . ولا النساء بمستطيعات الجلوس فى الشرفات لنظام الحجاب المتبع .

وقد فطن العامة لمثل هذه الأمور فقالوا فى أمثالهم : كُلُّ عند العرب صابون ، ودردب وليِّس كُلُّ كُويِّس .

وأنا لا أمنع الشرفة فهي شرف للبيت ، ولكن لا نعدم من الانتفاع بالشرفات إذا كان لدى مهندسينا فكر مبدع وبراعة وألمعية .

لماذا أهمل أبناء هذا الزمان الأمثال ؟

من المقررات عند العارفين أن الأمثال سلفية . أي تنسب إلى السلف تنحدر منه إلى الخلف على تعاقب الأجيال .

وكان أبناء جيلي يكثرون فى أحاديثهم من الأمثال العربية الفصيحة ومن الأمثال العامية .

فالحجازى يستعمل أمثال الحجاز العامية ، ويصنع صنيعه ابن كل قطر ، فتنحدر أمثال العراق على لسان العراقي ، وأمثال تونس على لسان التونسي ، وأمثال مصر على لسان المصري ، وهكذا .

وجيلنا كان كثير الاستعمال للأمثال . ومن سبقونا كان أكثر حديثهم أمثالا وحكما وكنايات . وكان الجميع بارعين فى ضرب الأمثال . كما كانوا حاضرى البديهة فى استحضارها .

ولما كانت مكة حرسها الله غاصة فى مدار السنة بأبناء الأقطار الإسلامية فقد كانوا هم ـ أيضا ـ يستعملون فى أحاديثهم أمثال بلدانهم . ومن تعلم العربية كان يترجم أمثال بلده . فالصينى يسوق فى حديثه أمثال الصين . وكذلك الفارسي والهندي والبنغالي والاندنوسي والتركي والتركستاني والبخاري .

ولذلك شاعت على السنة أهل مكة أمثال الأقطار الاسلامية . وعسر التمييز بين أمثالها الفصيحة والعامية . وكثير منهم ما كانوا يميزون . لأنهم لم يكونوا فى الأغلب الأعم من العلماء والمثقفين . أما العلماء والمثقفون فكانوا يميزون ويشيرون إلى الفصيح والعامي .

ولما كان لى أصدقاء من أبناء الأقطار الإسلامية ومن أقطار العروبة فقد حفظت طائفة طيبة من أمثالهم . وكنت استشهد بما تقتضيه المناسبة . فاذا كنت فى موقف اقتضانى ضرب مثل . ولم أجد فى الذاكرة مثلا حجازيا ووجدت مثلا عراقيا أو تونسيا ضربته .

وذات مرة استشهدت بالمثل التونسى : « من صندوقك تلبس » وقلت فى حديثى : كما يقول المثل التونسى . وكان زملائى يسمعونه لأول مرة فسألونى عما إذا كنت متأكدا . فأجبت بالايجاب . وسأل بعضهم من ورائى أحد الحجاج التونسيين فأكد له أن المثل تونسي أصيل .

أما شباب هذه الأيام فقد خلا حديثهم من الأمثال . ويجتمع بى كثير من الشباب منذ ربع قرن ومازالوا يترددون علي . ولم أسمع كل هذا الزمن من أحد منهم مثلا واحدا . لا من الفصيح ولا من العامي .

ولم يقتصر اختفاء الأمثال على شباب الحجاز أو نجد أو الأحساء أو عسير . بل العدوى عامة . فكل شباب العرب سواء فى اختفاء الأمثال من ألسنتهم . ونحن نجاريهم فى الحديث فيندر أن ينحدر على ألسنتنا مثل إلا إذا كنا فى مجلس يضم أبناء جيلنا . فحينئذ تتطاير فى جوه الأمثال .

فلماذا اختفت الأمثال من أحاديث جيل الشباب فى كل أقطار العرب والمسلمين ؟ .

وأحسب أن الأمثال اختفت من أحاديث الشباب فى كل أقطار العالم . فقد سألت أمثالى فى بعض بلدان أوربا وآسيا وافريقيا وأمريكا فذكروا أن الأمثال لا وجود لها عند الشباب في تلك البلدان .

ولعل من أسباب اختفاء الأمثال من أحاديث الشباب أن الأمثال سلفية . أي من كلام السلف . والشباب مشغول بحاضره والتفكير فى مستقبله والاستعداد له عن السلف والماضى . بل هو يرى أن الماضى قد انتهى . ولا رجعة له . فلا جدوى منه .

وكان الناس فى جيلنا ومن سبقونا لديهم الأناة والوقت والحاجة إلى الأمثال يؤيدون بها آراءهم وتجاربهم . ويستدلون بالأمثال على صحة التجارب والآراء . فعندما يذكر حكايته مع إنسان أحسن إليه فقابل إحسانه بالاساءة أيد قوله بالمثل العربى : جزاء . سنار .

وهكذا تنحدر الأمثال على الألسنة بسهولة وكأن انحدارها غير إرادي .

وكان الناس يستشهدون فى أحاديثهم بالأمثال الفصيحة والعامية . وكان العامة جميعا يستعملون الأمثال العامية بكثرة فى كل أحاديثهم وأحوالهم . فى الحرب والسلم . وفى الفرح والحزن . وفى الميلاد والوفاة .

وخلو أحاديث الشباب قاطبة من الأمثال مردود إلى تجاهلهم السلف والاستخفاف بهم . وعدم وجود تجارب ذات أثر . وعدم نضجها عند الشباب . واشتغال أذهانهم وأوقاتهم بما أحدثته الحضارة التى شغلت الناس شغلا . وسمة السرعة التى طوت كل شيء . فما كان يتم فى شهر صار يتم فى سويعات . وما كان يتم فى ساعات صار يتم فى دقائق .

كان السفر من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ـ حرسها الله وزادها شرفا وتعظيما ـ يتم فى عشرة أيام بالابل . وكان المسافرون ينعمون بالراحة والعلم وطهي الطعام بأنفسهم والسمر . وعرفوا الطرق والمنازل بين المدينتين المقدستين . ثم جاءت السيارة قبل « سفلتة » الطريق فطوت المسافة فى يومين . وكان التزود قد اختصر عن السابق . ثم انطوت المسافة فى سويعات خمس أو ست تطوى المنازل طيّا . ولا تقف السيارة إلا دقائق للتزود بالوقود .

ثم دخلت الطائرة فى المواصلات فاخُتصِرَ الطريق إلى دقائق لا تمكن المسافر من التلذذ بالحديث .

فأي مثل ينحدر على الألسنة فى هذه الأحوال ؟ قد يبدو مثل أو إشارة بعد الرحلة فيقول أحد الناس : وصلنا فى لمح البرق .

وعدوى اقتضاب الزمن سرت الى الأحاديث فاقتُضبت . فلم يعد هناك مجال للإطناب . وكل منا قد طوته السرعة طيا . فقد كنت ـ وغيرى مثلى ـ أجلس إلى أولادى

أتحدث إليهم ويتحدثون إليَّ ، وأقص عليهم القصص والحكايات . وفى ليالى الجمع والعطلة الدراسية تطول الحكاية ساعة أو ساعتين .

أما الآن ، فقد سرق الراديو والتلفزيون وقت الوالدين والأولاد على السواء ، فهم لا يتحدثون إلا « كلمة ورد غطاها » لأنهم جميعا مشغولون بالسماع أو المشاهدة .

فأي مثل يمكن أن ينطلق فى مثل هذا الجو ؟.

وما أظن أن عصر الأمثال سيعود مع طغيان هذه الحضارة وانتشارها وشغلها الناس حتى طوتهم فى « عجلتها » السريعة .

وإذا كنا فى بداية عصر الصواريخ والكواكب مشغولين عن الأمثال فان ما سيأتى من الأيام ستكون سيطرة الحضارة الآلية على العالم أشد ، وحينئذ سننسى أنه كان فى الآداب واللغات أمثال .

وحقيق أن الإنسان فى دور الشباب، عندما يكون فى الخامسة والعشرين من عمره لا يضرب الأمثال فى أحاديثه إلا نادرا كل الندرة ، لأن ضربها يقتضى وجود تجارب كثيرة عند ضارب المثل لم تتوافر عند الشباب ، فاذا بلغ الأربعين يكون محصوله من التجارب وفيرا ، وتكون قد نضجت ، وحينئذ يضرب الأمثال .

فهل إذا بلغ الشباب فى عصرنا سن الأربعين يستعمل الأمثال فى كلامه ؟ أعتقد أن بلوغه الأربعين لن يسمح له بذلك ، لأن الكبار من أمثالنا قد ندرت الأمثال فى أحاديثهم فيما بينهم ، فإذا كان الحديث فى مجلس يضم الشباب والشيوخ فقد تنعدم الندرة .

والأسباب التى كانت تدعو فى جيلنا وجيل آبائنا وفى الماضى إلى ضرب الأمثال قد زالت فطبيعي ألا يرتبط ضربها بالأعمار .

ولا أذكر ميلاد أمثال فى جيل أبى ولا فى جيلى ، وهذا طبيعي ، لأن الأمثال وإن كان منشؤها من الأفراد تصبح وكأنها منتمية إلى الشعوب ، فهى خلاصة تجارب الأمم ،

ومحصول الأجيال . ولهذا لم تتوافر أسباب مولد الأمثال لجيل أبى وجيلى فخلا عصرنا منها .

وإذا كنا فى هذه الأيام طوينا صفحة الأمثال فمن المقرر ألا تولد أمثال جديدة ، لأنه ليس هناك حمل يضمن بقاء النوع . فلا غرابة أن تتفقد الأمثال فنفقدها من الخطاب والكتاب على السواء .

المسرح واللغة العامية

رحم الله الدكتور طه حسين وأسكنه الجنة ، فقد سمعت له قبل وفاته بسنتين حديثا بالإذاعة المصرية زارته فى منزله الذى سماه « الرامتان » تثنية « رامة » وبنيناه على الحكاية ، لأن طه حسين سمى منزله بمثنى الرامة .

زارت الإذاعة المصرية عميد الأدب العربي وسألته : كيف يقضى أوقاته بعد أن الزمته الشيخوخة سكنه فقال : فى تلاوة القرآن الكريم وسماعه من الإذاعة .

فسألته أيسمع التمثيليات الإذاعية فأجاب : إذا كانت بالفصحى .

فسألته عن السبب فقال : إننى لا أحب أن أسمع غير الفصحى ، وإن العامية تضايقنى الى حد الاشمئزاز والتقزز .

وأخذ الدكتور طه حسين يهاجم العامية ويحمل عليها بعنف لا مزيد عليه ، ودعا إلى اتخاذ الفصحى فهي وحدها لغة الأدب والعلم والفكر .

وبعض الكتاب يظنون أن المسرح لا يصح بغير العامية ، ومن هؤلاء الكتاب الأستاذ مصطفى زين الذى كتب فى « المجلة » السعودية مقالا ذهب فيه إلى أن « الأفضل الإبقاء

على مسارح عربية عِدّة بلهجات مختلفة من توحيدها تحت سلطة اللغة الأم فنخسر عندها التنوع ونخسر الحرية التى تنتهجها اللهجات العامية » .

وهذا الذى زعمه يدل على جور فى الحكم . فاللهجات العامية لا تتيح الحرية ، وإنما تتيح الفوضى ، وليست الفوضى حرية .

حرية العامية تشبه حرية القاتل الذى بيده سكين يطعن به الضحية كيفما يتفق له الطعن ، أما الطبيب الجراح فهو الذى تمكنه الحرية المكبوحة بالعلم والدراية من القطع فى حرية مأمونة .

الحرية يملكها القادر على الفصحى ، أما حرية العاجز عن الفصحى فما هي إلا فوضى العامية . وليست هذه الفوضى التى فهمها الكاتب على أنها حرية إلا سمة العجز والمرض وليست آية على الصحة والاقتدار .

والمسرحية المحلية محصورة فى بلدها ولا يفهمها غير أهلها . فلو عُرضت على السعوديين مسرحيةٌ بلغة الجزائر العامية لما فهموها . ولو كانت من نوع « الكوميدي » لما ضحك لها أحد منهم ، لأن السعوديين لا يفهمون عامية الجزائر .

فالعامية سجينة فى بلدها وغير مفهومة عند غير الناطقين بها ، وأما ما حسبه السيد مصطفى زين تنوعا فما هو به فى شيء . فكل اللهجات العامية بالنسبة للفصحى عامية واحدة ، لأنها جميعا فى درجة واحدة ، وتعددها ليس تنويعا .

وإذا كانت لغة المسرحية هى الفصحى اتفقت كل شعوب الأمة العربية فى فهمها ، وحجتنا الحرمان الشريفان . يخطب فيهما بالفصحى . ويسمع الخطبة من كل أقطار العرب والمسلمين آلاف بل عشرات الألوف من الناطقين بالعامية العربية ، وفيهم من غير العرب من تعلموا العربية ، وكلهم يفهم خطبة الجمعة يلقيها الإمام بالفصحى .

ولو ألقاها الإمام بعامية الحجاز أو نجد لما فهم الخطبة من هم من غير أبناء هذه الديار ، ولو ألقاها بالعامية لهانت الخطبة وفقدت هيبتها ، لأنها ألقيت بلغة لا حرمة لها عند

أصحابها ، إذ يسمعون كلاما « عاديا » رخيصا متبذلا هو كلام الباعة والسوق والشارع والبيت والصعاليك والسوقة والأطفال والجهلة والأميين .

إنك تلبس لكل حالة لبوسها . فلو ذهبت للقاء الملك أو مضيت إلى المسجد الحرام أو المسجد النبوي بزي الكناس أو « الزبال » لشعرت أنت نفسك بالحقارة والهوان .

وعندما يرتدى الكناس ملابس نظيفة ويتزيا بزي الوجهاء شعر بإنسانيته ، وظهر بين يدي نفسه وكأنه إنسان محترم ذو قيمة .

وكذلك اللغة ، فإذا هبط المسرح والممثلون الى اللغة العامية فإن العامة أنفسهم الذين يشهدون المسرحية يحسون بهوانها ، لأنهم يسمعون لغة السوق تعرض عليهم ، وهم فى غنى عنها ، لأن لديهم هذه البضاعة المزجاة .

أما الفصحى فسحرها يتجدد ، وتحمل على الدوام أسباب بقائها وسحرها وجمالها . فأنا أقرأ الفصحى منذ نصف قرن ولم تتبذّل أو تسقط كرامتها وهيبتها عندى ، بل تزداد نفاستها على مر الأيام .

فالفصحى هي لغة المسرح إذا أريد للمسرحية الذيوع والانتشار والبقاء والتجدد ، أما العامية فتحصر المسرحية فى الزمان والمكان ، فمنذ سبعين عاما مُثّلت على المسرح فى القاهرة روايات بالعامية ، ولو أعيد تمثيلها اليوم لما وجدت ما سبق أن وجدته ، بل لانصرف عنها أبناء هذا الزمان ، لأن عامية القاهرة وعامية كل بلد قبل سبعين سنة ليست بعامية هذه الأيام فى الأسلوب وفى بعض الكلمات ، فمئات الكلمات العامية التى كانت تستعمل قد اختفت ، وحلت محلها كلمات أخرى جديدة .

فخير للمسرح أن يتخذ الفصحى لغته للروايات التي يريد عرضها إذا أراد لها البقاء وتجدد الحياة والذيوع والانتشار ، لأن معجزة القرآن تحل بركاتها على الفصحى فتبقى على الدوام .

الضعف في العربية

منذ زمن بعيد وأنا أدعو إلى العناية بلغتنا وتعليمها وإصلاح مناهجه التى ساءت ، فنجم عن الإساءة ما يسيئ .

وعم اللحن وشاع حتى لكأن حملة أعلى الشهادات الجامعية لا يعرفون النحو والصرف . أما البلاغة فيجهلونها . ولهذا صرنا نقرأ فى الصحف والكتب ونسمع من الإذاعة والتلفزيون كلاما ركيكا يضاف إليه اللحن الكثير .

وأحضر صلاة الجمعة فى بلدان العالم العربي فأسمع خطبة الجمعة ، فإذا الخطيب يغلط كثيرا .

فإذا كان هؤلاء العلماء الكبار يلحنون فلا يلام التلامذة إذا لم يقيموا القراءة ويحسنوها ، لأن معلميهم ضعاف . ومنهم من لا يحسن التفرقة بين الاسم والفعل . وبين الحروف والضمائر . ويجهلون الإعراب جهلا مطبقا .

ومنذ خمس عشرة سنة أو أكثر أثرت حملة على منهج تعليم العربية وأثبت عقمه . ودعوت إلى إصلاحه والعناية بتعليم قواعد العربية فلم تجد الدعوة سميعا . وازداد ضعف الطلاب فى لغتهم حتى لم نعد نسمع أو نقرأ غير الغالط الكريه .

ومنهج تدريس النحو على الطريقة المتبعة بالبدء بالمثال حتى إذا انتهى من عشرات الأمثلة ساق القاعدة .

واتُّبع هذا المنهج فى مدارس العالم العربي منذ أربعين سنة . ومنذ اتباع هذا المنهج حتى اليوم وملايين الطلاب العرب جدٌّ ضعاف فى العربية . لا يقيمون سطرا مما يقرأون . مع أن بعض ما يقرأون مضبوط بالشكل .

وهذا المنهج على عيوبه الكثيرة يفترض فى الطفل كمون النحو فى نفسه . وكأنه غريزة من غرائزه الكامنة فيه . كما يفترض فيه العلم بمصطلحاته قبل أن يسمعها .

فالطفل فى الثامنة أو التاسعة من عمره يبدأ فى تعلم النحو . وهو خالى الذهن عن هذا العلم الجديد عليه . وإذا هو يفاجأ بباب « الجملة المفيدة » ثم تقسيم الكلمة وهكذا .

ولا يبدأ الكتاب بالقاعدة يعرِّفها ويحدد حدودها . وإنما بالأمثلة التى تتضمن كثيرا من أبواب النحو .

وطريقة السلف أقوم فى تعليم النحو . فهم يعرِّفون النحو . ويذكرون فائدة تعليمه . وأن القصد منه ديني قبل كل شيئ . لأنه يحرس كتاب الله من وقوع قارئه فى اللحن .

ومن العسير على الأطفال تصوُّر المعانى المجردة إلا إذا كان معلمه بارعا مقتدرا . وإلا نشأوا على الضعف . وعجزوا عن القراءة السليمة . وعن تطبيق الأمثلة على القواعد .

وإن إعطاء الطفل كتيبة من الأمثلة فى باب من أبواب النحو ليستخرج منها بمعونة المدرس أول ما يبدأ أمر شديد الصعوبة .

فالطفل فى هذه الأيام يواجه علم النحو وهو لم يختم القرآن كله ولم يجوده . ولم يستظهر منه سورا كثيرة ولا بعض الأجزاء ولا شيئا من الشعر أو الحديث .

ومادام محروما من ذلك فإن من العسير أن يتمثل النحو ويهضمه . مع أن وسائل الإعلام الحديثة تساعده على استيعاب كثير من المعلومات . وتزوده بثروة لغوية طيبة . وتعينه على

تنمية معلوماته المتجددة التى يستثمرها ؛ وعلى تنمية ذهنه أيضا .

وإن إغفال منهج تعليم الطفل لقراءة القرآن كله وتحفيظه بعضه قد أفقده تعوُّد البلاغة العالية حتى ساء تعبيره كتابا وخطابا عندما تخرج من الجامعة بشهادة عالية .

ولو عوَّد المنهج الطفل قراءة القرآن كله واستظهار بعضه لتيسر له فهم كثير من علوم العربية التى أنشئت لدراسة القرآن وفهمه .

أما أن يكون القرآن مادة من المواد التى يتعلمها ، ويكون النحو كذلك فإن شأن القرآن يهبط إلى الدروس الأخرى ، لأنه بذلك يتساوى بغيره ، وستزاحمه تلك الدروس .

وكان حريا بالمنهج أن يخصص سنتين لتعليم الطفل القرآن يتلقاه من معلمه حرفا حرفا ، وبذلك تخرج الحروف من مخارجها حتى أن أصعب الحروف كالضاد والذال والثاء والظاء تصدر من مخارجها واضحة سليمة ظاهرة .

وعندما يلقن المعلم تلميذه الطفل القرآن حرفا حرفا وكلمة كلمة يتعلم النطق الصحيح الفصيح ، وتتعود ملكة البلاغة العالية كما تتعود أذنه سماع موسيقى القرآن الخاصة به دون كل كلام العرب ، ويتعود الطفل منذ نعومة أظفاره أرقى أسلوب فى العربية على الإطلاق .

وتفرغ الطفل سنتين للقرآن الكريم يعاشره ليل نهار ستثمر هذه المعاشرة تربية ذوقه وتزكية ملكاته ، وتترك فى نفسه آثارا تعمق وتنتشر على مر الأيام ، وحينئذ يكون فى طوقه استعمال الكلمة الصحيحة استعمالا صحيحا وتركيب الكلمات فى جمل .

ومادة المحفوظات ومادة المطالعة ومادة الإنشاء كانت معواناً لفهم الطفل النحو ، كما كانت تزوده بثروة من اللغة ، وتمكنه من إنشاء الجمل ، وتحيى فيه ملكاته ، وتنمى خياله .

واختلف المدرس والكتاب ومنهج تعليم العربية فى هذه الأيام عما كان قبل أربعين سنة فى كل أقطار العروبة .

فأنا كنت تلميذا بالابتدائية منذ خمسين سنة بمكة المكرمة حرسها الله . وكان من يعلمنا النحو أحد أئمته فى الحجاز هو « شيخ بابصيل » وكان الكتاب الذى ندرسه فى السنة

الأولى الابتدائية هو الجزء الأول من كتاب « الدروس النحوية » تأليف حفنى بك ناصف ومحمد بك دياب والشيخ مصطفى طموم ومحمد بك صالح .

وكان أستاذنا المكى الحجازي « شيخ با بصيل » إماما جليلا فى علوم العربية ، وكان هو الذى يعلمنا الإنشاء والمحفوظات والمطالعة ، ولم يفارقنا فى سنوات الابتدائية الأربع ، حتى إذا تخرجنا من المدرسة الابتدائية إلى المعهد العلمي السعودي كان شيخنا قد سبقنا إليه ، فصار يعلمنا الصرف والبلاغة حتى تخرجنا من المعهد العلمي السعودي .

وخلال دراستنا بالمعهد أخذنا على شيخنا الجليل ألفية ابن مالك واستظهرناها ، ودرسنا عليه شرح ابن عقيل ثم حاشية الصبان على الاشموني .

ولكن ما تلقيته من شيخنا فى السنة الأولى الابتدائية ثبت فى ذهنى حتى هذا اليوم . ولى أولاد بالمرحلة الابتدائية والثانوية ، وهم وكل زملائهم ضعاف فى النحو . والكتاب ومنهج تأليفه وتدريسه عقيمان . ولهذا كان الطالب العربي ضعيفا أشد الضعف فى كل علوم العربية . فلما تخرجوا من الجامعات تخرجوا وهم ضعاف لا يحسنون العربية .

وكثرت دعوات تبسيط النحو وتيسيره ، ووضعوا للنحو المبسَّط الميسر منهجا ألفوا عليه الكتب فعالجوا الضعف بمضاعفته .

وما له علاج إلا العودة إلى منهج السلف وكتب السلف . ويجب أن يسير أبناؤنا على النهج الذى سرنا فيه حتى يكونوا مثلنا فى علوم العربية حفظا وإدراكا وفهما .

معجم القرآن الكريم

منذ زمن طويل دعوت إلى تأليف معجم الإسلام ودائرة معارف الإسلام ودائرة معارف الفقه الإسلامي ، وقد ألفت نموذجا لمعجم الفقه الاسلامي ، كتبت فيه عن ثمان وعشرين كلمة منها : إيلاء ، وبهيمة ، ورهن ، وطلاق ، ونكاح وغيرها ، وبلغت صفحات هذا المعجم حوالى ستة آلاف صفحة ، ولو كتبت معجم الفقه كما خططت له لبلغ عدد صفحاته عدد صفحات دائرة المعارف البريطانية .

أما اقتراحى تأليف معجم القرآن فقد قدمته فى حديث إذاعي أذيع فى الأسابيع الأولى من تأسيس الإذاعة السعودية بجدة .

ومقترحاتى فى حاجة إلى استعداد نفسي وعلمي قبل الاستعداد المالي . ويظهر أن أوان الأخذ بأسباب تنفيذ ما اقترحت لم يحن بعدُ .

إلا أننى أجدد دعوتى إلى تأليف معجم للقرآن الكريم . وليس تحقيق هذه الدعوة الخيرة بعسير ، ولو ملكتُ من الأمر لأنجزتُ تأليف معجم القرآن خلال سنة بمشيئة الله .

ولست أقصد أننى أقوم أنا نفسى بالتأليف ، بل أضع المنهج الذى يكفل إنجاز تأليف معجم القرآن الكريم خلال سنة بمشيئة الله .

والمنهج الذى وضعته يتلخص فيا يأتى :ـ

أولا : إعداد مواد المعجم وترتيبها حسب حروف الهجاء . فنبدأ بآل . ثم أبٌ ، ثم أبٍ ، ثم إبراهيم . ثم أبى وهكذا إلى يأجوج . فيئس . فيتيم . فيد .

ثانيا : نوزع الكلمات على علماء كبار . فكلمة إبراهيم تكتب ترجمة وافية فى الكلمة ومعناها فى لغتها الأصيلة . وترجمة وافية دقيقة لأبى الأنبياء وحياته وديانته ورسالته . وكلمة « فيل » مثلا . تكتب فى هذا الحيوان أدق ما عرفه العلم والتاريخ الطبيعي . وعن موطنه وطبيعته . وهكذا .

وإن توزيع المواد يختصر لنا الزمن . ويكون حينئذ فى وسعنا إنجاز تأليف معجم القرآن خلال سنة بعد إعداد المواد .

والحق . أن علماء المسلمين قد أوجدوا كثيرا من علوم القرآن وألفوا معجم ألفاظه ومعجم غريبها . وبقي من أعظم الأعمال عمل معجم للقرآن .

وقد سُبقنا إلى مثل هذا العمل فى الكتاب المقدس لدى النصارى . سبقنا إليه المسيحيون فألف الدكتور جورج بوست الأستاذ بالجامعة الأمريكية ببيروت معجما للكتاب المقدس باسم « قاموس الكتاب المقدس » فى مجلدين طبع الأول منهما سنة ١٨٩٤ م والثانى سنة ١٩٠١ م وكان طبعهما ببيروت . وأعيد طبعه غير مرة ونفد من الأسواق .

ولما رأى الإنجيليون حاجة الناس إلى قاموس الكتاب المقدس قام مجمع الكنائس فى الشرق بهذه المهمة . وألف كتيبة من أكبر رجال اللاهوت ومن أعظم العلماء المسيحيين فى الشرق العربي وفرغوا أنفسهم للتأليف فألفوا معجما جديدا لكتابهم المقدس دعوه « قاموس الكتاب المقدس » وطبعوه طباعة فاخرة . وعمموا نشره ، إذ جعلوا ثمنه فى متناول كل راغب فيه .

وصدرت الطبعة الأولى سنة ١٩٦٧ م ونفدت كل نسخها فقرر مجلس الكنائس فى الشرق الأدنى إعادة طبعه فطبع الطبعة الثانية سنة ١٩٧١ م فى مجلد واحد ضخم طباعة فاخرة .

ولم يكتف مجلس الكنائس بإعادة الطبع ، بل قرر أن يفيد من الكشوف الجـديدة والدراسات الحديثة فيؤلف معجما حديثا يساير ما جدَّ حتى يكون المعجم متطورا يلبى رغبة كل عالم ومثقف .

والعالم العربي والإسلامي فى أشد حاجة من المسيحيين الى معجم القرآن الكريم الذى خلت منه لغات أقطار المسلمين أيضا .

وللكتاب المقدس لدى اليهود والنصارى معجمات كثيرة فى فنون وعلوم مختلفة سبقونا فيها وتخلفنا نحن عنهم فيا كان واجبا أن نسبقهم فيها إليها . فهم قد ألفوا لنا دائرة المعارف الإسلامية التى لم نستطع حتى اليوم ترجمة كل أجزائها .

ولا عذر لنا فى هذا التخلف بعد أن استقلت أقطار العروبة والإسلام ، وفتح الله لأقطار عربية وإسلامية كنوز الأرض وخزائنها .

وأنا أوجه قتراحى بتأليف معجم القرآن لأى أمير من أمرائنا أو أي ثري من أثريائنا ، وإن فى أحد من أولئك وهؤلاء غناء .

فمن صاحب الحظ السعيد الذى يسبق إخوانه فيتم هذا المشروع العظيم على يديه فيكون له يد على كتاب الله عز وجل فيذكر اسمه ذكرا حسنا يتجدد مدى الدهر بمشيئة الله .

وعندما يوفق الله للفكرة من ينفق على تنفيذها نفصل منهج العمل ليتم البدء فيه على اسم الله ، البدء فى تأليف معجم القرآن الكريم .

انشروا لغة القرآن بدل نشر ترجمات معانيه

كثرت مباريات ترجمة معانى القرآن الكريم بين كثير من الادارات فى المملكة العربية السعودية وفى غيرها أيضا . وأنفق على طبع هذه الترجمات بمختلف اللغات مئات الملايين من الريالات .

وما نشك أن هناك من انتفعوا به ممن يحسنون تلك اللغات التى ترجمت اليها معانى القرآن الكريم .

والسؤال : هل تكافأ الانتفاع من الترجمات مع ما أنفق عليها من الأموال الكثيرة ؟.
ترجمت معانى القرآن إلى اللغة الصينية فكم عدد من انتفعوا بالترجمة ؟

الترجمة لا تدخل الصين الشيوعية . أما الصين الوطنية فلا يزيد عدد المسلمين فيها على ستين ألفا .

وهذا يدل على أن نسبة الانتفاع غير متكافئة مع الأموال المبذولة فى الترجمة .
وكذلك الأمر بالنسبة للترجمات الأخرى .

ولا شك أن الترجمات إلى الإنجليزية أكثر من الترجمات إلى اللغات الأخرى ، والناطقون بالإنجليزية أكثر عددا من الناطقين بغيرها فى غير أهلها .

فما حجم الانتفاع من الترجمات الى الإنجليزية ؟. إنه حجم ضئيل إذا قيس على النفقات الكبيرة فى الطبع .

وأرى هذه المباراة فى طبع الترجمات وفى الإنفاق السخي عليه قد تعددت وكثرت ، كما سرت عدوى الترجمة من معانى القرآن إلى الحديث الشريف فترجم صحيح الإمام البخارى الى الإنجليزية والى بعض اللغات الأخرى كما قيل لى ، وأذكر أن صحيح البخاري مترجم كله ، وبخزانة كتبى نسخة كاملة من الترجمة .

وأنا أنظر إلى هذا العمل الضخم من زوايا أخرى ، بل يجب علينا أن ننظر فى كل مشروع نريد القيام به من جميع الجوانب والزوايا حتى لا نقع فيما نكره .

وأول ما أذكره أن حجم الانتفاع بهذه الترجمات جدُّ ضئيل بالنسبة إلى الأموال التى بذلت فى طبعها .

ثم إن فى هذه الترجمات وشيوعها محاربة للغة القرآن والحديث اللذين يفقدان بلاغتهما عندما يترجمان أو تترجم معانيهما وبخاصة القرآن الكريم .

وأعداء الاسلام والقرآن ولغتهما ينفقون مئات الملايين وما يزالون ينفقون بسخاء فى محاربة اللغة العربية وحصارها حتى لا تنتشر فى أقطار الاسلام والمسلمين ليبقى كل قطر منها كالعضو المبتور من الجسد .

وبقاء أقطار المسلمين معزولا بعضها عن بعض بسبب الحدود واللغات والجنسيات يمنع تقدمها ويضعف قواها وأثرها ويجعل على الدوام ضعيفة فقيرة متأخرة خفيفة فى الميزان .

ولو أن الدول العربية والإسلامية التى تنفق مئات الملايين فى ترجمة معانى القرآن الكريم أنفقتها فى نشر اللغة العربية وتعليم شعوب الأمة الإسلامية لكان أجدى . فاللغة أعظم مقومات الحياة والحضارة وأدعى إلى الجمع والتوثيق .

ولخير لنا أن نعلم المسلمين لغة الإسلام التى هي لغة القرآن حتى يقرأوا القرآن فى لغته الأصيلة ويفهموا منه ما استطاعوا إلى فهمه سبيلا .

إن هذا أجدى من أن يقرأ المسلم القرآن مترجم المعانى ، لأن هذه الترجمة ليست قرآنا . وإنما القرآن هو القرآن العربي وليس غير .

وأخوة الاسلام لا تتم إلا بالوحدة فيما بين المسلمين (وان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) فهذه الوحدة يجب أن تتم بين المسلمين لتكون الأخوة الاسلامية صحيحة وسليمة .

وإن وحدة العقيدة تدفع إلى وحدة أمة الإسلام ، وهي تقضى بوحدة اللغة التى بها يقوم التوحيد بين الناطقين بها . وما فى الأرض لغة توحد كلمة المسلمين غير اللغة العربية دون سواها على الإطلاق والتعميم ودون استثناء . لأن الله الذى خلق كل اللغات علم أن لغة العرب خيرها وأجلها وأفصحها وأعظمها وأفضلها فاختارها لغة كتابه العزيز .

فاللغة العربية وحدها التى تجمع المسلمين وتوحد كلمتهم وصفهم وهي وحدها القادرة على أن تجعل المسلمين جميعا أكبر قوة خيرة فى العالم بمشيئة الله .

وعندما انتهيت الى كتابة هذه الفقرة الأخيرة وقع بين يدي الجزء الأول من تفسير المنار فذكرت أن الشيخ محمد رشيد رضا قد عرض فى مقدمة التفسير لما عرضت له فى هذا المقال فرأيت أن أنقله أؤيد به ما ذهبت إليه .

يقول الشيخ محمد رشيد رضا : « القرآن هو حجة الله البالغة على دينه الحق . فلا بقاء للإسلام إلا بفهم القرآن فهما صحيحا . ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية . فإن كان باقيا فى بعض بلاد الأعاجم فإنما بقاؤه بعض العلماء العارفين من التفسير ما يكفى لرد الشبهات عن القرآن عندهم . وببقاء ثقة العامة بهم وبما يقولونه تقليدا لهم فيه . أو بعدم عروض الشبه لهم من دعاة الأديان الأخرى . مع تأثير الوراثة والتقليد من قبيل ما يسمى فى العلم الطبيعي : بحركة الاستمرار . ولهذا اتفق علماء الإسلام من العرب والعجم على حفظ اللغة العربية ونشرها كما تقدم . وكان العلم والدين فى أوج القوة بحياة اللغة العربية .

« كان جميع من دخل فى الإسلام يشعر بأنه صار أخا لجميع المسلمين وأن أمته هي الأمة

الإسلامية ، لا العربية ولا الفارسية ولا القبطية ولا التركية كما قال تعالى : (٢١ : ٩٢ وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون) .

« ومن البديهي أن وحدة الأمة لا تتم إلا بوحدة اللغة ، ولا لغة تجمع المسلمين وتربطهم إلا لغة الدين الذى جعلهم بنعمة الله إخوانا ، وهي العربية التى لم تعد خاصة بالجنس العربى إذا نظرنا إلى الأجناس (المعبر عنهم فى إصلاح المنطق بالأصناف) من جهة أنسابهم وأوطانهم .

« ولهذا كان يجتهد مسلمو العجم بخدمة هذه اللغة كما يجتهد مسلمو العرب بلا فرق ، ويعدونها لغتهم ، لأنها لغة القرآن التى تقوم بها حجتهم ، وهم من أمة القرآن كالعرب بلا فرق ، قال تعالى : (٤٩ : ١٣ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم) »

« وفى حديث جابر عند البيهقي وابن مردويه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فى خطبة الوداع فى وسط أيام التشريق : « يا أيها الناس ، ألا إن ربكم واحد ، لا فضل لعربي على عجمى ؛ ولا لعجمي على عربي ، ولا لأسود على أحمر ، ولا لأحمر على أسود إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ، الا هل بلغت ؟ قالوا : بلى ، يا رسول الله ، قال : فليبلغ الشاهد الغائب » .

« ثم حدثت للإسلام عصبية الجنسية الجاهلية التى حرمها الإسلام ، وشدد فى منعها بعد أن ضعف العلم والدين فى المسلمين بضعف اللغة العربية فيهم ، حتى قام بعض الأعاجم فى هذه السنين الأخيرة يدعون قومهم إلى ترجمة القرآن بلغتهم ، والاستغناء عن القرآن العزبي ، زاعما أن الإسلام دين ليس له لغة ، وغلا بعض هؤلاء فى بغض العربية فدعا مسلمى قومه إلى الأذان والصلاة والخطبة بلغتهم وقد أجمع المسلمون بالعمل على إقامة هذه الشعائر الإسلامية بلغة الإسلام العربية الى اليوم .

وكان من عاقبة هذا الضعف فى العلم والدين أن بعض المسلمين فى بلاد الأعاجم

(كجاوة) التى يقل فيها العلماء العارفون بالدين ولغته ، القادرون على دفع الشبه عن القرآن صاروا يرتدُّون عن الإسلام لإيضاع دعاة النصرانية خلالهم ، وسؤالهم الفتنة للتشكيك فى القرآن والطعن فيه ، وأين من يفهمه ويدافع عنه هناك ؟ ومنهم من صار يفخر بسلفه من الوثنيين والمجوس حتى بفرعون الذى لعنه الله فى جميع كتبه » .

مضى على هذا الكلام أكثر من ستين سنة ، ولو كان السيد محمد رشيد رضا حيا لهالته كثرة ترجمات معانى القرآن والمباراة الحامية فى طبعها ونشرها بمختلف اللغات مما قضى على شوق المسلمين من غير العرب على قراءة كل القرآن أو أكثره فى لغته العربية الأصيلة التى نزل بها .

إن المسلمين من غير العرب كانوا وما يزالون فى شوق الى تعلم العربية ليقرأوا القرآن ويفهموه فشغلناهم بالترجمة عن التطلع إلى تعلم العربية .

وخير للذين ينفقون مئات الملايين على ترجمات معانى القرآن أن ينفقوها على تعليم عامة المسلمين العربية حتى تنتشر بينهم ، وبذلك تقوم وحدتهم على أساس متين ، ويستعيدوا مجدهم الحق من جديد ، لأن القرآن سيجمعهم على الحق والخير .

فلنأخذ أنفسنا بنشر العربية حتى ننشر بذلك القرآن لنكون من المفلحين بمشيئة الله تبارك وتعالى وبعونه .

***

وبعد ؛ أيقرأ ترجمات معانى القرآن الكريم من نترجمها لهم ؟!.

على سبيل المثال نأخذ الانجليز والأمريكيين ، لأن ما طبع بالإنجليزية من ترجمة معانى القرآن أكثر الطبعات عددا .

فهل هؤلاء الذين يعرفون الإنجليزية يقرأون ترجمات معانى القرآن ؟ وكم عددهم ؟.

أعتقد أن من قرأ ترجمات معانى القرآن نادر . بل لا تكاد النسبة تبلغ واحدا فى الألف فى كل بلدان العالم إذا لم تكن أقل من ذلك .

وأعتقد أن من قرأوا منها شيئا يسيرا قليل لا يبلغون المئات .

ودليلى العرب وغيرهم . فكم بين العرب من يقرأون القرآن كله ؟ ليجب كل قارئ على السؤال بحسب درايته ويجعل من نفسه مثلا . ثم ليفكر فى الأمر ليدرك عدد من يقرأون ترجمات معانى القرآن . أما ترجمة صحيح البخاري فنادر من يقرؤه كله . لأن الذين يقرأونه من أوله إلى آخره فى لغته الأصيلة نادرون .

فاذا كان قراء العربية لا يقرأون القرآن كله إلا فى حالة الندرة النادرة فمن الطبيعي أن يكون غيرهم أقل اهتماما .

وإذا كان من يعرفون الإنجليزية من غير المسلمين لا يقرأون كتابهم المقدس أفتراهم يقرأون كتاب غيرهم ؟ كلا .

عنَّ لى ذات مرة أن أقوم بتجربة أردت منها الوقوف على نسبة من يقرأون الكتاب المقدس لدى النصارى أو الأناجيل الأربعة . والذى دعانى الى القيام بهذه التجربة أن صديقا أمريكيا مهندسا وزوجته كانا مدعوين لديَّ للعشاء ومعهما أولادهما الأربعة : بنت وثلاثة أبناء . وكان الحديث فى الديانات فقال الضيف ـ وكان مهندسا وعلى المعاش ـ : منذ أربعين سنة تركت الدين كله . ولم أختم أي إنجيل من الأناجيل .

وكان ذات مرة قد حضر حفلة بدارى أكثر من ثلاثين أمريكيا . فيهم أطباء كبار فى مختلف فروع الطب . ومهندسون . وسماسرة . وإقطاعيون . وتجار . ومديرون . وسألتهم عن الأناجيل . وهل قرأوها ؟ فأجمعوا كلهم على أنهم لم يختموا إنجيلا قط . وإن قرأوا صفحات من بعض الأناجيل .

ووسعت نطاق التجربة . فسألت محامين وكتابا وعمالا وغيرهم حوالى مئة عن مدى

اطلاعهم على الأناجيل . فأجابوا مثل سابقيهم . وأجمعوا هم ومن قبلهم على أن لهم عقودا من السنين لم يفتحوا كتابهم المقدس .

فإذا كانوا منصرفين عن كتابهم المقدس فهم منصرفون عن كتاب غيرهم .

والرأي الذى أراه ألا نعيد طبع ترجمات معانى القرآن . وألا نكرر التجربة مع اللغات التى لم تترجم إليها بعد . ونكتفى من ترجمة معانى القرآن بترجمة معانى آيات نختارها فى العقيدة والوحدانية وأركان الإيمان والإسلام . وفى الحكمة والموعظة والأدب والاجتماع وتربية النفس . وسير بعض الأنبياء . وبعض الأحكام . وبعض معانى سور كاملة من كتاب الله .

أما فى الحديث الشريف فنختار أحاديث فى الموضوعات التى سبق اختيارها من آيات القرآن . كما نترجم بعض أدعية الرسول صلى الله عليه وسلم وخطبه فى حجة الوداع .

ونترجم ذلك إلى أكثر اللغات فى كتيبات صغيرة نفتنّ (بتشديد النون) فى توزيعها . وما يعرض للبيع يباع بثمن رخيص تنفقه فى خدمة الإسلام وإعلاء كلمة الله .

وسيقبل ملايين الناس فى العالم على القراءة . وسنحملهم على مصادقة الإسلام والارتياح له . وقد يدفعهم ذلك إلى الدخول فى دين الله الحق بمشيئته وفضله .

ويجب أن نتخير المناسبات فى توزيع هذه الترجمات . ونفيد من تجارب غيرنا كالمسيحيين فى خدمة دينهم والدعوة إليه والدعاية له .

كنت أنا وأسرتى بمدينة « سكرمنتو » عاصمة كاليفورنيا إحدى الولايات فى أمريكا . وكنا نحتفل بعيد الأضحى فزارنا ثلاث فتيات شابات . يوزعن بالثمن مختارات من الأناجيل مطبوعة فى كتيبات جميلة المظهر والطباعة . فاعتذرنا بأننا عرب . ولا نريد إلا ما كان بالعربية فاستمهلن دقائق . ومضين لحالهن .

وبعد ثلث ساعة عدن ومعهن بضع نسخ بالعربية مما يمكن حمله فى الجيب أو فى حقيبة

اليد . فاشتريت منهن نسخة . وقرأتها أنا وقرأتها زوجتى وأولادى حتى ابنى الأصغر فى السابعة من عمره قرأها .

ولقد أعجبنى حسن اختيار من اختار فقرات الأناجيل وسلامة ذوقه . إذ لم يختر غير الإنسانيات . وكان الطبع رائعا والورق جميلا . والإخراج آية فى الروعة والتمام . وكان الغلاف تحفة فنية .

ومدينة « سكرمنتو » مدينة صغير وإن تكن العاصمة . ومع هذا لا يفوت القائمين على نشر المسيحية والترويج لها معرفة الغرباء فى مدينتهم . والتردد عليهم زائرين .

ونحن حريون أن نصنع ما يكون لنا عونا فى نشر ديننا ولغتنا . فنحسن الاختيار . فنختار الإنسانيات التى يتفق كل الناس فى حبها والارتياح اليها والإعجاب بها . لأنها هى الحصة التى يشترك بنو الانسان جميعا فيها دون نظر إلى اختلاف الدين واللغة والجنس والوطن واللون .

ورسولنا محمد صلى الله عليه وسلم وديننا الحنيف هما الإنسانية العليا فى مكارم الأخلاق وصحة المعتقد .

نشر لغة القرآن وتعليمها أجدى من ترجمة معانيه ونشرها

هذا رأيي الذي رأيته مجردا عن الهوى والمصلحة الخاصة وعن محاباة أحد . بل استخلصته من تجارب ودراسات لخمسين عاما أمضيتها متفرغا للعلم . غير ناظر إلى « المادة » أربيها . ولا طامع في وظيفة . أو راغب في دنيا أصيبها . وإنما رأيت في ترجمة معاني القرآن ما رأيت وأنا أقصد إعلاء كلمة الله . ونشر لغة كتابه حتى لا يكون بين الناس وبخاصة أهل الإسلام والقرآن وسيط . بل أود أن يقرأ المسلم القرآن كما أنزل . ويفهم منه بذوقه وعقله ومعرفة للغته ما يسهل فهمه عليه . وإذا أراد التوسع فلديه أهل الذكر يتلقى منهم ما يريد من الخير والعلم .

وعندما نشرت مقالي « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » لم أحسب حساب من يرضى وسخط من يسخط . لأني كتبته لوجه الله وحده .

ومعنى نشر القرآن لا يدخل فيه طبعه وتوزيعه في مفهومي ومقصدي . بل أردت تعليم الناس لغته . ثم ندعهم وشأنهم مع كتاب الله . وليس بمحجور أن نفسره لهم . ونبين بعض أسراره وما فيه من حكم وأحكام .

وأنا لم أنف عن الترجمات ما فيها من نفع . ولكنني أردت ما هو أكثر نفعا وأدومه .

وقد أشرت الى ما فى الترجمات من خير . ووازنت بين هذا الخير المحدود وما يقابله من خير أبقى وأجدى وأشمل وأكبر .

وكان فى حسابى معارضة أناس عن حسن نية . ويجوز أن يكون معارضون بسوء نية . وتعودت المعارضة النزيهة واللئيمة . ولكل ضرب من ضروب المعارضة موقف ومقال .

ويعلم الله أن المقال الذى كتبته ونشرته بجريدة الندوة بعنوان « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » لم يدفعنى الى الكتابة والنشر إلا الرغبة فى الخير والاصلاح . وايثار ما هو أعلى على ما هو أدنى .

وقرأت في جريدة « الندوة » بعددها الصادر يوم الأحد ١٤٠١/٥/١٦ مقالا للأستاذ محمد محمود حافظ وقف بعضه على ملاحظات أربع لاحظها على مقالى .

ولى على ملاحظات السيد الحافظ ملاحظات كثيرة لا أجد عندى وقتا أضيعه فى ذكرها فرأيت الإقلال منها وإيجازها .

وما أزال أحسن الظن بالدوافع التى دفعته إلى تلك الملاحظات وأعزوها الى حسن النية .

وهاهو ذا ردنا على ملاحظاته التى قال فى الأولى منها : « إن الجهات التى تقوم بترجمة معانى القرآن فى بلادنا إنما تترجم المعنى أو انها تطبع ترجمة لمعانى القرآن إلى لغة يتحدث بها المسلمون . ولا أعرف أنها تقوم بترجمة القرآن كما يقول الأستاذ العطار لأن ترجمة القرآن مستحيلة . وربما تكون هذه المحاولة من قبل المستشرقين » .

والسيد الحافظ لا يعزب عن درايته أن كاتب هذه السطور لا يقول ما نسبه اليه . فاذا عرف هو أن ترجمة القرآن مستحيلة فنحن قد سبقناه الى هذه المعرفة . وعلى الأقل سبقناه إليها فى المقال الذى لاحظ عليه أربع ملاحظات لا محل لهن جميعا فى ميزان الحق والواقع .

وأنا لم أقل : « ترجمة القرآن » وأي إنسان منصف يقرأ مقالى يعرف أن ما قلته هو « ترجمة معانى القرآن » وإن سقطت من عبارة واحدة من عبارات كثيرة كلمة « معانى » .

فعنوان المقال المكتوب بحرف كبير ينص على « انشروا القرآن نفسه بدل نشر ترجمات معانيه » وكان وحده كافيا لأن يهدى إلى الرشد والحق والصواب . وكما قالوا : الكتاب يقرأ من عنوانه .

وما من عبارة ورد بها « ترجمة معانى القرآن » إلا اشتملت على كلمة « معانى » بين الترجمة والقرآن . وما أكثر جملة « ترجمة معانى القرآن » ورودا فى المقال .

وأول جملة فى مقالى كانت « كثرت مباريات ترجمة القرآن » وسقطت منها كلمة « معانى » بعد كلمة « ترجمة » وما كان ذلك خافيا على أي قارئ . لأن كل عبارة ورد بها ترجمة معانى القرآن ابتداء من العنوان كانت ذات دلالة واضحة لا يخطئها أحد .

وسقوط كلمة « معانى » لا يعطى أى صاحب هوى أي حجة على أن يأخذ عليَّ تبعة السقوط لأن نظائر هذه العبارة تفصح عن الاستقامة والصواب اللذين يؤكدهما العنوان .

أما أن ترجمة القرآن مستحيلة فتحصيل حاصل مفهوم عند كل المثقفين فى العالم . لأن ترجمة أي أثر أدبي من لغة إلى لغة تفقده ـ على الأقل ـ جو اللغة الأصيلة إذا كان المترجم بارعا حاذقا .

والقرآن يفقد إعجازه عندما يترجم إلى أي لغة . هذا هو الحكم العام الغالب . وإن كان فى الوسع ترجمة آيات المواعظ وبعض الأحكام ترجمة دقيقة . وإن كانت القاعدة فى الترجمة أن ما يترجم من لغة إلى أخرى يفقد الجو اللغوي الأصيل الذى يتنفس فيه الأثر الأدبي الرائع .

وإذا فطن السيد الحافظ إلى إستحالة الترجمة فنحن إليها أفطن . وقد سبقناه إلى هذه « البديهية » فى المقال الذى لاحظ عليه . فقد قلنا : « .. القرآن والحديث اللذين يفقدان بلاغتهما عندما يترجمان أو تترجم معانيهما وبخاصة القرآن الكريم » .

وقلنا أيضا : « إن هذا أجدى من أن يقرأ المسلم القرآن مترجم المعانى . هذه الترجمة ليست قرآنا . وإنما القرآن هو القرآن العربي وليس غير »

فنحن عرفنا استحالة ترجمة القرآن قبل ملاحظات السيد الحافظ . بل عرفنا ما هو أبعد من ذلك ألا وهو استحالة ترجمة معانى القرآن ـ فى الأغلب الأعم ـ بحيث يسع المترجم أن يعطي الصورة البلاغية والإعجاز اللذين اكتسبتهما معانيه من القرآن .

وصاحب الملاحظات ساق دعوى استحالة ترجمة القرآن وأردفها بما يهدمها إذ قرر أن محاولة ترجمة القرآن قام بها المستشرقون .

وكيف يقومون بمحاولة المستحيل ؟ أليست المحاولة تنفى الاستحالة ؟

وليس عمل المستشرقين محاولة للإتيان بالمستحيل ، وإنما عملوا ما يمكن عمله لأي مقتدر . لقد عملوا على ترجمة معانى القرآن . وليس ما عملوه محاولة ترجمة القرآن كما فهم السيد الملاحظ .

إنهم قرأوا الآية بلغتها العربية . ولكي يفهموا معناها رجعوا الى كتب التفسير واللغة ثم ترجموا المعنى حسب فهمهم إياه .

والملاحظة الثانية للسيد الحافظ قوله : « إن اتهام هذه المحاولات بأنها محاربة للغة القرآن فيها (كذا) والصواب : فيه ، لأن الضمير يعود إلى مذكر وهو اتهام وليس اسم الإشارة (هذه) لأن العبارة حينئذ تختل اختلالا مبالغة ، وتحمل (كذا) عنصر التشاؤم مع أن معانى القرآن وانتشارها يخدم (كذا) المسلمين فى فهم معنى النص » الخ .

إن الذين قاموا بمحاولة ترجمة معانى القرآن كانوا ذوى مقصد حسن . ولكن فى الترجمات محاربة للفصحى . وأوضح لحضرة السيد هذه المحاربة الخطيرة .

إن هذه الترجمات تحول دون انتشار الفصحى وتجعلها مزويّةً فى الكتب وصدور الناطقين بها . وأعظم همّ لأعداء لغة القرآن أن يحولوا دون انتشارها . وأن يضعفوها فى اقطارها ، بل حاولوا قتلها بإحلال العامية محلها . حتى سمح بعضهم بترجمة القرآن إلى اللغة العامية ، واستعملنا كلمة « ترجمة القرآن » حكاية لمن استعملها من دعاة العامية الذين ظنوا أنفسهم أوصياء على العرب ولغتهم وحياتهم . فهزمتهم الفصحى فزالوا وبقيت لغة القرآن .

سمح بعض أعداء الفصحى بترجمة القرآن إلى العامية تكرما منهم على من يريدون الاحتفاظ بالقرآن تبركا .

وقد تصدينا منذ أكثر من أربعين سنة لدعوات هدم الفصحى . وألفنا فى الرد عليها كتبا كثيرة ابتداء من « كتابى » المطبوع سنة ١٣٥٤ هـ .

وأنا عندما قلت : « إن فى هذه الترجمات وشيوعها محاربة للغة القرآن والحديث » لم أكن مبالغا ولا متشائما . بل كنت أقرر واقعا مشهودا . فأنا من الأفراد القلائل فى هذا العصر ـ والحمد لله ـ الذين كشفوا مخططات أعداء الاسلام والقرآن ومحمد عليه الصلاة والسلام .

وإن هؤلاء الأعداء يروجون لدعواتهم التى يراد منها ضرب لغة القرآن بما يخدع أصحابها ويحملهم على أن يكون منهم محاربون للفصحى . وما نريد أن نعيد ما سبق ترداده فى عديد من مؤلفاتنا وفى أحاديثنا خلال بضعة الشهور الماضية فى الإذاعة السعودية ، وأحاديثنا التى مايزال يذاع بها فى هذه الأيام .

إن من أعظم أهداف أعداء الإسلام محاربة الفصحى وزَيِّهَا فى أضيق الحدود .
ومن هذه الأهداف ترجمة معانى القرآن والحديث إلى اللغات الأوربية الحية والى مختلف اللغات الأخرى . لأن فى الترجمات تمكينا لتلك اللغات وترويجا ونشرا وليس للغة القرآن .

فإذا ترجمنا معانى القرآن الى الانجليزية وطبعنا مئة ألف نسخة وزعناها على العالم فقد ثبتنا الإنجليزية تثبيتا وروجناها ودعونا لها ونشرناها فى الخافقين .

وأي براعة فى التخطيط أعظم من أن نتولى نحن أنفسنا نشر لغة أعدى أعدائنا .

ولو أننا علمنا خمسة آلاف إنسان اللغة العربية لكان ذلك أجدى من طبع مئة ألف نسخة بالانجليزية .

وقول السيد الحافظ : « إن معانى القرآن وانتشارها يخدم (كذا) المسلمين فى فهم معنى النص » ليس بصحيح .

ولم يفتنا إدراك ما أدركه . فقد أدركنا قبله دون أن يتطرق إلى إدراكنا الخطل الذى تتبطنه كلمة السيد الحافظ .

فنحن قد سبقناه وقلنا فى مقالنا الذى لاحظ عليه : « وما نشك أن هناك من انتفعوا به ممن يحسنون تلك اللغات التى ترجمت إليها معانى القرآن » .

فنحن لم ننف عن تلك الترجمات كل نفع . بل أثبتنا ما فيها من نفع لم يشغلنا عما فى ذلك من الضرر . ورأينا أن حجم الانتفاع لا يتكافأ مع ضخامة الإنفاق ، ولا يمحو آثار خدمة لغات الأعداء وآثار الإضرار بلغة القرآن .

وإذا كنا نرى ما رأينا فاننا واثقون من حسن نيات القائمين على مشروع الترجمات وطبعها ونشرها ومقصدهم الطيب واجتهادهم . كما أننا نؤكد أن البديل عن الترجمات خير منها ألف مرة . وذلك هو تعليم العربية .

وأما ما ذهب إليه السيد الحافظ من أن انتشار معانى القرآن يخدم المسلمين فى فهم معنى النص القرأني فليس بواقع . لأن المسلمين الذين يجهلون العربية ويقرأون ترجمة معانى القرآن لا يمكن أن يفهموا معنى النص القرآني . وكيف يفهمونه وهم يجهلون لغته ؟ .

وحفظ سور من القرآن وآيات من أجل الصلاة من قبل من لا يعرفون العربية لا يعينهم اطلاعهم على ترجمات معانى تلك السور والآيات على فهم ما يتلونه . لأن ما يتلونه إنما هو بلغة يجهلونها .

والسيد الحافظ يوهم القارئ بأننا قررنا ما أنكره كأنما ينكره علينا مع أن ذلك لم يصدر منا .

يقول : « ولا يمكن أن يتعبد المسلم بالمعنى دون اللفظ فى صلاته لأن ذلك يعنى تحريفا (كذا) وهو أمر لا يجوز إطلاقا » .

أزعمنا نحن شيئا مما أنكره ؟ أفى مقالنا ما يفهم منه أنا ذهبنا الى جواز الصلاة بمعنى القرآن دون لفظه ؟ كلا .

وليس القرآن للصلاة وحسب . وإنما هو للصلاة والتلاوة ولاصلاح النفس والمجتمع وللأحياء والحياة وما فيها . وهو شرعة للناس ومنهاج . وفي وسع المسلم أن يتعبد بالمعنى عندما يقرأ الترجمة للوقوف على ما فيها مما جاء فى القرآن من تاريخ وسير وأحكام وحكم ومواعظ ووصايا وآداب وأخلاق وعلوم وفنون وسلوك واجتماع الى غير ذلك .

وأسأل : أهناك معنى مجرد بدون لفظ ؟.

إن هذا أمر لا يمكن تصوره إذ لا وجود له البتة !.

وإن قوله : « لأن ذلك يعد تحريفا » خطأ فى سياق الجملة . ولا وجود للتحريف فى ذلك .

أما الملاحظة الثالثة فأوضحها بقوله : « أدت هذه الترجمات لمعانى القرآن الكريم الكثير من الفوائد لانتشار القرآن والحصول عليه واقتنائه بين أوساط المسلمين فى أماكن بعيدة عن بلادنا » .

ما ضرورة هذه الملاحظة ؟ أنفينا عن الترجمات ما فيها من فوائد حتى يذكر هذه الملاحظة التى لا مكان لها ولا ضرورة ؟ إننا سبقناه فقررنا أن فيها نفعا .

وهذه الملاحظة الثالثة حوت ما يستحق الرد والسؤال : أأثمرت هذه الترجمات انتشار القرآن والحصول عليه واقتناءه ؟ أنا أجيب قائلا : كلا . والحق والواقع يؤيدان قولى .

فمن وصلته نسخة من الترجمة إما أن يكون عارفا بالعربية واللغة التى ترجمت اليها معانى القرآن . أو يكون غير عارف بالعربية . فإن كان غير عارف بالعربية فإنه لا ينتفع بالمصحف الشريف كما لا ينتفع بالمصحف الذى حوته الترجمة .

أما إذا كان يعرف العربية فانتفاعه بالترجمة قليل . بل لا ضرورة له إليها . لأن فى المصحف له غناءً عن الترجمة إلا اذا كان يحتفظ بها لديه بمكتبته لسبب من الأسباب كما أحتفظ أنا ببعض الكتب بلغات لا أعرفها . وندر من يعرفها من أبناء بلدى .

إن الترجمة لا تثمر انتشار القرآن واقتناءه إذا كان لا يعرف لغة القرآن .

وإذا كان العربي المسلم الأمي الحريص على صلاته لا ينتفع بوجود المصحف لديه فإن من لا يعرف العربية وملك الترجمة لا ينتفع بوجود المصحف لديه لأنه أمي في العربية التي لا يعرفها .

والملاحظة الرابعة قوله : « إن هذه الترجمات لمعاني القرآن لا يجرى طبعها إلا ومعها النص الأصلي للقرآن باللغة العربية وبالخط العثماني (كذا) فليست هناك ترجمة لمعاني القرآن مطبوعة دون النص العربي وفي ذلك تسهيل واضح على فهم المعنى مع حفظ اللفظ لغير الناطقين بالعربية » .

لا دخل لهذه الملاحظة فيما رأيت . ومع هذا فإن وجود النص العربي في الترجمة ليس نشرا للعربية ولا للقرآن . وليس بنافع من تكون لديه الترجمة إذا كان يجهل العربية .

ومن اللغو أن يدعي أن وجود النص العربي « تسهيل واضح على فهم المعنى مع حفظ اللفظ » بل هو قول يدحضه الواقع والحق .

ففي العالم ملايين النسخ من الترجمات أو مئات الألوف على الأقل وكل ترجمة تحوى المصحف ، فإذا صحت دعوى السيد الحافظ فمعناها أن مئات الألوف فهموا المعنى وحفظوا اللفظ !.

وإذا حفظوا اللفظ وفهموا المعنى فمعناه أنهم عرفوا العربية وفهموا القرآن خيرا من العرب جميعا . لأن العرب لا يحفظون اللفظ ولا يفهمون المعنى إلا بعد الرجوع إلى كتب التفسير .

ومادام هذا هو الحق فما ذهب إليه السيد الحافظ وقرره غير حق وليس بواقع .

إن وجود النص العربي لا يفيد من بيده الترجمة مادام جاهلا بالعربية .

وأما « الخط العثماني » الذى جاء في ملاحظته الرابعة فلا وجود له . ولعله أراد الرسم العثماني .

وإذا لم يرد الرسم فما نوع هذا الخط العثماني ؟ وما شكله ؟ وما نموذجه ؟

وموجز القول : أن ما رأيته فى ترجمات القرآن إلى مختلف اللغات لم أصدر فيه عن هوى بل عن الرغبة فى الخير الأكبر والحمد لله .

ومن معجزات القرآن أن المسلمين وبخاصة العرب ومن يعرفون العربية يعاشرون القرآن ليلا ونهارا وصباحا ومساء وبخاصة فى صلواتهم بخلاف أهل الكتب المقدسة الأخرى التى لا يقرأونها إلا من قصروا عملهم على قراءتها .

وعلى أي حال مازلت عند رأيى وأقول : « انشروا لغة القرآن بدل ترجماته فذلك خير وأجدى وأبقى .

أيهما أولى وأجدى ترجمة معاني القرآن أم نشر لغته ؟

ترجمة الآثار الأدبية من لغة إلى أخرى تفقدها بلاغتها وروعتها إلا فيما ندر ، والنادر شذوذ .

وإذا كانت ترجمة أثر أدبي من لغة الى أخرى ليست أمرا سهلا فإن ترجمة القرآن من لغته العربية الأصيلة إلى أي لغة أمر مستحيل ، لأن نقل كلام الله إلى كلام البشر بأسلوبهم مستحيل كل الاستحالة ، فإذا تمت ترجمته فإن الترجمة لا تكون قرآنا أبدا ، وبذلك تفقد معنى القرآن كما تفقد كل خصائصه .

ولهذا ذهب الغُيُرُ من المترجمين الفاهمين والإدارات التى تريد الترجمة الى أنهم يترجمون معاني القرآن الكريم وليس القرآن نفسه ، وقد أحسنوا فيما صنعوا .

ومع أن ترجمة معانى القرآن من العربية إلى لغة من اللغات لا تكون فى مستوى الأصل العربي لغة وأسلوبا إلا أنه أيسر من ترجمة القرآن نفسه ، لأنها ـ كما قلنا ـ مستحيلة .

ولا بأس من ترجمة معانى القرآن كاملة للدارسين الذين يريدون أن يقفوا على كل معانى القرآن .

على أن رأينا أن يُترجم من القرآن بعض السور . وآيات أخرى من الذكر الحكيم فى التوحيد . وفى الكونيات . والأخلاق . والتربية والتعليم وما أشبهها . لأن فى ترجمة مثل هذه الموضوعات خيرا وأجدى وأبقى من ترجمة كل معانى القرآن .

وسبب الخير والجدوى والبقاء أن ترجمة ما يُختار من السور والآيات تكون سهلة الحمل والاستيعاب والإدراك والفهم ، وتحصر الذهن بدل تشتيته وبخاصة فى المشتبهات وفى التكرار الذى تذاق بلاغته وتدرك حكمته فى العربية . ولا تذاق وتدرك فى غيرها من اللغات . لأن لكل لغة خصائصها .

وما أنفق فى ترجمة معانى القرآن وطبعها بمختلف اللغات يبلغ مئات الملايين . وقارئ الترجمة بلغته لا يشعر بجلال القرآن . لأن ما يقرأه ليس قرآنا . وإنما هو معانيه بلغة اخرى .

أما الذى يقرأ القرآن بالعربية فإنه يشعر بجلاله وجماله وإن لم يعرف معنى ما يقرأ ، ولكن حسبه فى بداية الأمر أن الفاظ القرآن الكريم التى نطق بها جبريل عليه السلام ثم خرجت من فم رسول الله محمد عليه الصلاة والسلام هي نفسها التى يلفظها . وفى هذا بركة ونفع . وتعويد اللسان لغة القرآن .

وكل مسلم يصلى بالقرآن العربي . لأنها لا تجوز بغيره . فهو قادر بمشيئة الله ثم برغبته وعزيمته أن يتعلم العربية التى لا يعسر تعلمها إذا صدقت النية والعزيمة .

وعندما ننفق على تعليم العربية ما أنفقنا على ترجمة معاني القرآن نكون قد هيأنا جيوشا جرارة تقرأ القرآن العربي بلسان عربي مبين . ويسهل على أفراد تلك الجيوش الألى يبلغون الملايين فهم معانى القرآن الكريم مادام قد تعلم لغته .

ويكون هؤلاء الذين تعلموا العربية معلمين يقومون بتعليمها لمن لم يسبق لهم تعلمها .

وهكذا ، وبذلك تنتشر العربية ويزداد عدد المتكلمين بها ، وعندئذ ينتشر الإسلام بانتشار القرآن الكريم ولغته الفصحى .

ووحدة اللغة بين الشعوب المختلفة نسب يجمعها ، وطبيعي أن النسب أساس الحب والمنفعة ، فإذا أضيف إلى وحدة اللغة وحدة العقيدة كان النسب أشمل وأكمل وأصدق .

كم عدد من يقرأ ترجمة معاني القرآن ؟

فى الحديث الذى سبق دعوت إلى الانصراف عن ترجمة معانى القرآن الكريم الى ترجمة سور وآيات مختارة فى العقيدة والحكمة والموعظة ومكارم الأخلاق والإنسانيات ، لأن القراء فى اللغة العربية بعد أن ينتهوا من المدرسة لا يقرأون القرآن فى غير الصلوات . وندر منهم من يقرأ فى غيرها . وأندر منهم من يختم القرآن . وفى غير مدارس تحفيظ القرآن لا يختم الطالب المسلم القرآن كله الا نادرا .

هذا شأن العرب مع القرآن المنزل بلغتهم . فهل شأن من نترجم لهم معانى القرآن شأن العرب أنفسهم ؟.

أحسب أنهم سواء .

وإن ترجمة معانى القرآن ـ على سبيل المثال ـ بالإنجليزية هي أكثر الترجمات نسخا لتعدد طبعاتها . فكم عدد من يقرأ هذه الترجمات من الناطقين بالإنجليزية ؟.

أعتقد أن من يقرأ ترجمة معانى القرآن كله يعد على الأصابع . لأن القراء فى هذه الأيام لا يجدون الوقت . واذا وُجد بينهم من يملك الوقت فإن قراءة معانى القرآن تُجهد وترهق .

ولهذا يندر من يستطيع قراءة الترجمة كاملة .

وإذا كان القارئ بالإنجليزية مسلما حريصا على الاطلاع فإن القراءة تستغرق شهورا ، وكثرة الكلام ينسي بعضه بعضا ، ونفعه من قراءة الترجمة لا يكافئ الجهد والزمن اللذين أنفقهما .

أما غير المسلمين من الإنجليز والأمريكيين ودول الكومنولث فإن عددهم مئات الملايين ، و٩٥٪ لا يقرأون أناجيلهم . وليس بينهم واحد بالمئة يقرأ أربعة الأناجيل كلهن . بل أستطيع أن أرفع النسبة فأقول : لا يوجد واحد فى كل عشرة آلاف قرأ أربعة الأناجيل كلها بله سائر أسفارهم المقدسة .

أما إذا أتينا بكتابهم المقدس بعهديه القديم والجديد فإن النسبة ترتفع كثيرا بحيث لا تقل عن واحد فى كل مئة ألف بل أكثر .

فإذا كان المسيحيون الناطقون بالإنجليزية لا يقرأون كتابهم المقدس ، أفيقرأون معاني كتاب مقدس لدى غيرهم . ولا يؤمنون به ولا برسول الإسلام .

إن ترجمات معانى القرآن قد كثرت . وتعددت لغاتها . حتى اللغة النروجية التى لا يتكلم بها إلا أقل من أربعة ملايين قد ترجمت الى لغتهم معانى القرآن الكريم .

وقرأت فى إحدى الصحف السعودية أن عدد النسخ خمسة آلاف وقال لى أحد الناس : الكمية المطبوعة أكثر .

وسواء أكانت الكمية خمسة آلاف أم أكثر فان أحدا لن يقرأ المجلدين الضخمين إلا إذا كان هناك سبب قاسر يدفعه دفعا إلى قراءته كله .

فما ينفق على الترجمة والطبع ليس كفاء الانتفاع بها . وخير للإدارات التى تتولى هذا الأمر أن تنصرف عن الترجمة التامة لمعانى القرآن الى اختيار آيات محكمات وبعض السور ، وتتخير الآيات التى يقع الاختيار على ترجمتها بأن تكون بضع آيات محكمات غير متشابهات

فى العقيدة . وآيات بعض الأحكام والحكمة والمواعظ وسير الأنبياء والمرسلين . وبعض القصص ذوات العبرة والعظة والإنسانيات .

وإذا كنت أقترح الانصراف عن ترجمة معانى القرآن كله فإنى أقترح ألا نتورط فى ترجمة كتب الحديث كاملة مثلما صنعنا بصحيح الإمام البخارى المطبوع فى عديد من المجلدات ، لأن أحدًا لا يقرأ الترجمات الكاملة لكتب الحديث . ويحسن بنا أن نترجم مختارات من أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وبعض خطبه كخطبته فى حجة الوداع وبعض أدعيته كدعائه عندما أوذي فى الطائف .

وقد دعوت فى الحديث السابق أن نضيف إلى المختارات فى الترجمة تعليم العربية حتى يقرأوا فيها القرآن والحديث . وفى نشر لغتها فى اقطار العالم فتح نوافذ للاسلام . وتمكين المسلمين من غير العرب من قراءة القرآن والحديث . وتمكين غير المسلمين من الاطلاع وتذوق البلاغة العربية المثلى .

ونشر العربية اجتذاب لمن نعلمهم اياها . فاللغة نسب عندما لا يكون نسب . واخوة وصداقة وقربى .

ولهذا أوثر نشر العربية على ترجمة معانى القرآن وترجمة الأحاديث والأدب والثقافة العربية الإسلامية .

إصدارات إدارة النشر بتهامة

الكتاب العربي السعودي

صدر منها:

الكتاب		المؤلف
• الجبل الذي صار سهلاً		الأستاذ أحمد قنديل
• من ذكريات مسافر		الأستاذ محمد عمر توفيق
• عهد الصبا في البادية		الأستاذ عزيز ضياء
• التنمية قضية		الدكتور محمود محمد سفر
• قراءة جديدة لسياسة محمد علي باشا		الدكتور سليمان محمد الغنام
• الظمأ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ عبد الله جفري
• الدوامة	(قصة طويلة)	الدكتور عصام خوقير
• غداً أنسى	(قصة طويلة)	الدكتورة أمل محمد شطا
موضوعات اقتصادية معاصرة		الدكتور علي طلال الجهني
• أزمة الطاقة إلى أين؟		الدكتور عبد العزيز حسين الصويغ
• نحو تربية إسلامية		الأستاذ أحمد محمد جمال
• إلى ابنتي شيرين		الأستاذ حمزة شحاتة
• رفات عقل		الأستاذ حمزة شحاتة
• شرح قصيدة البردة	(دراسة وتحقيق)	الدكتور محمود حسن زيني
• عواطف انسانية	(ديوان شعر)	الدكتورة مريم البغدادي
• تاريخ عمارة المسجد الحرام		الشيخ حسين باسلامة
• وقفة		الدكتور عبد الله حسين باسلامة
• خالتي كدرجان	(مجموعة قصصية)	الأستاذ أحمد السباعي
• أفكار بلا زمن		الأستاذ عبد الله الحصين
• علم إدارة الأفراد		الأستاذ عبد الوهاب عبد الواسع
• الإبحار في ليل الشجن	(ديوان شعر)	الأستاذ محمد الفهد العيسى
• طه حسين والشيخان		الأستاذ محمد عمر توفيق
• التنمية وجهاً لوجه		الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
• الحضارة تحدٍّ		الدكتور محمود محمد سفر
• عبير الذكريات	(ديوان شعر)	الأستاذ طاهر زمخشري
• لحظة ضعف		الأستاذ فؤاد صادق مفتي
• الرجولة عماد الخلق الفاضل		الأستاذ حمزة شحاتة
• ثمرات قلم		الأستاذ محمد حسين زيدان
• بائع التبغ	(مجموعة قصصية)	الأستاذ حمزة بوقري
• أعلام الحجاز في القرن الرابع عشر للهجرة		الأستاذ محمد علي مغربي
• النجم الفريد	(ترجمة)	الأستاذ عزيز ضياء
• مكانك تحمدي		الأستاذ أحمد محمد جمال

- قال وقلت — الأستاذ أحمد السباعي
- نبض.. — الأستاذ عبد الله جفري
- نبت الأرض — الدكتورة فاتنة أمين شاكر
- السعد وعد (مسرحية) — الدكتور عصام خوقير
- قصص من سومرست موم — الأستاذ عزيز ضياء
- عن هذا وذاك — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- الأصداف (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- الأمثال الشعبية في مدن الحجاز — الأستاذ أحمد السباعي
- أفكار تربوية — الدكتور ابراهيم عباس نتو
- فلسفة المجانين — الأستاذ سعد البواردي
- خدعتني بحبها (مجموعة قصصية) — الأستاذ عبد الله بوقس
- نقر العصافير (ديوان شعر) — الأستاذ أحمد قنديل
- التاريخ العربي وبدايته — الأستاذ أمين مدني
- المجاز بين اليمامة والحجاز — الأستاذ عبد الله بن خميس
- تاريخ الكعبة المعظمة وعمارتها — الأستاذ حسين باسلامة
- خواطر جريئة — الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ
- السنيورا (قصة طويلة) — الدكتور عصام خوقير
- رسائل إلى ابن بطوطة (ديوان شعر) — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- جسور إلى القمة — الأستاذ عزيز ضياء
- تأملات في دروب الحق والباطل — الشيخ عبد الله عبد الغني خياط
- الحمى (شعر) — الدكتور غازي عبد الرحمن القصيبي
- قضايا .. ومشكلات لغوية — الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

تحت الطبع :

- كلمة ونصف — الأستاذ محمد حسين زيدان
- ملامح الحياة الاجتماعية في الحجاز — الأستاذ محمد علي مغربي
- زيد الخير — الأستاذ عبد العزيز الرفاعي
- الموت والابتسامة — الأستاذ عبد الله باقازي
- مواسم الشمس المقبلة — الأستاذ محمد علي قدس
- هكذا علمني وردزورث — الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاه
- عام ١٩٨٤ لجورج أورويل — الأستاذ عزيز ضياء
- مشواري مع الكلمة — الأستاذ حسن عبد الحي قزاز
- وجيز النقد عند العرب — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- لن تلحد — الأستاذ أبو عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري
- الإسلام في نظر أعلام الغرب — الشيخ حسين باسلامة
- قصص من طاغور (ترجمة) — الأستاذ عزيز ضياء
- أيامي.. — الأستاذ أحمد السباعي
- ماما زبيدة (مجموعة قصصية) — الأستاذ عزيز ضياء
- مدارسنا والتربية — الأستاذ عبد الوهاب أحمد عبد الواسع
- دوائر في دفتر الزمن (مجموعة قصصية) — الأستاذ سباعي عثمان

• من حديث الكتب		**الأستاذ محمد سعيد العامودي**
• الموزون والمخزون		**الشيخ أبو تراب الظاهري**
• ألحان مغترب	(ديوان شعر)	**الأستاذ طاهر زمخشري**
• الشوق إليك	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• وحي الصحراء		الأستاذ عبد الله بلخير الأستاذ محمد سعيد عبد المقصود
• رحلة الربيع		الأستاذ فؤاد شاكر
• إليها	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• حتى لا نفقد الذاكرة		الأستاذ سعد البواردي
• غرام ولادة	(مسرحية شعرية)	الأستاذ حسين سراج
• أحاديث		الدكتور عبد الرحمن بن حسن النفيسة
• الموت والابتسامة		الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
• العقل لا يكفي		الأستاذ محمد علي الشيخ
• أيام مبعثرة		الأستاذ فؤاد عنقاوي
• لجام الأقلام		الشيخ أبو تراب الظاهري
• أصداء قلم		الأستاذ محمود عارف

الكتاب الجامعي

صدر منها :

• الإدارة : دراسة تحليلية للوظائف والقرارات الإدارية		الدكتور مدني عبد القادر علاقي
• الجراحة المتقدمة في سرطان الرأس والعنق	(باللغة الانجليزية)	**الدكتور : فؤاد زهران** **الدكتور : عدنان جمجوم** **الدكتور : محمد عيد**
• النمو من الطفولة إلى المراهقة		الدكتور محمد جميل منصور الدكتور فاروق سيد عبد السلام
• الحضارة الإسلامية في صقلية وجنوب إيطاليا		الدكتور عبد المنعم رسلان
• النفط العربي وصناعة تكريره		الدكتور أحمد رمضان شقلية
• الملامح الجغرافية لدروب الحجيج		الأستاذ سيد عبد المجيد بكر
• علاقة الآباء بالأبناء	(دراسة فقهية)	الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
• مبادىء القانون لرجال الأعمال		الدكتور محمد إبراهيم أبو العينين
• الاتجاهات العددية والنوعية للدوريات السعودية		الأستاذ هاشم عبده هاشم
• مشكلات الطفولة		الدكتور محمد جميل منصور
• شعراء التروبادور		الدكتورة مريم البغدادي
• الفكر التربوي في رعاية الموهوبين		الدكتور لطفي بركات أحمد
• النظرية النسبية		الدكتور عبد الرحمن فكري الدكتور محمد عبد الهادي كامل

- أمراض الأذن والأنف والحنجرة (باللغة الانجليزية) — الدكتور أمين عبد الله سراج، الدكتور سراج مصطفى زقزوق

تحت الطبع:

- الأدب المقارن — الدكتور عبد الوهاب علي الحكمي
  (دراسة في العلاقة بين الأدب العربي والآداب الأوروبية)
- هندسة النظام الكوني في القرآن — الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر
- المدخل في دراسة الأدب — الدكتورة مريم البغدادي
- الرعاية التربوية للمكفوفين — الدكتور لطفي بركات أحمد

مطبوعات تهامة
TIHAMA PUBLICATIONS

صدر منها:

- حارس الفندق القديم — الأستاذ صالح إبراهيم
- دراسة نقدية لفكر زكي مبارك (باللغة الانجليزية) — الدكتور محمود الشهابي
- التخلف الإملائي — الأستاذة نوال قاضي
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة العربية)
- ملخص خطة التنمية الثالثة للمملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية)
- تسالي — الدكتور حسن يوسف نصيف
- مجلة الأحكام الشرعية — الشيخ أحمد بن عبد الله القاري
  (دراسة وتحقيق) — الدكتور عبد الوهاب أبو سليمان، الدكتور محمد إبراهيم أحمد علي
- النفس الإنسانية في القرآن الكريم — الأستاذ إبراهيم سرسيق
- خطوط وكلمات (رسوم كاريكاتورية) — الأستاذ علي الخرجي
- واقع التعليم في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية) — الدكتور عبد الله محمد الزيد
- صحة العائلة في بلد عربي متطور (باللغة الانجليزية) — الدكتور زهير أحمد السباعي
- مساء يوم في آذار (مجموعة قصصية) — الأستاذ محمد منصور الشقحاء
- النبش في جرح قديم (مجموعة قصصية) — الأستاذ السيد عبد الرؤوف
- الرياضة عند العرب في الجاهلية وصدر الإسلام — الدكتور محمد أمين ساعاتي

تحت الطبع:

- الوحدة الموضوعية في سورة يوسف — الدكتور حسن محمد باجودة
- الأسر القرشية.. أعيان مكة المحمية — الأستاذ أبو هشام عبد الله عباس بن صديق
- الاستراتيجية النفطية ودول الأوبك — الأستاذ أحمد محمد طاشكاندي
- ألـوان — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي
- أضواء على نظام الأسرة في الإسلام — الدكتورة سعاد إبراهيم صالح
- وللخوف عيون (مجموعة قصصية) — الأستاذ أحمد شريف الرفاعي

- سوانح وخطرات — الأستاذ أحمد محمد طاشكندي
- الحجاز واليمن في العصر الأيوبي — الدكتور جميل حرب محمود حسين
- نقاد من الغرب — الأستاذ عبد الله عبد الوهاب العباسي
- ماذا تعرف عن الأمراض ؟ — الدكتور إسماعيل الهلباوي
- جهاز الكلية الصناعية — الدكتور عبد الوهاب عبد الرحمن مظهر
- الإمكانات النووية للعرب وإسرائيل — الأستاذ صدقة يحي فاضل
- القرآن.. ودنيا الإنسان — الاستاذ صلاح البكري
- أدباؤنا في سيرهم الذاتية — الأستاذ علي بركات

رسائل جامعية

صدر منها :

- صناعة النقل البحري والتنمية في المملكة العربية السعودية (باللغة الانجليزية) — الدكتور بهاء حسين عزي
- العثمانيون والإمام القاسم بن علي في اليمن — الأستاذة أميرة علي المداح
- الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت — الأستاذة موضي بنت منصور بن عبد العزيز آل سعود

تحت الطبع :

- الدولة العثمانية وغربي الجزيرة العربية — الأستاذ نبيل عبد الحي رضوان
- القصة في أدب الجاحظ — الأستاذ عبد الله أحمد باقازي
- الخراسانيون ودورهم السياسي — الأستاذة ثريا حافظ عرفة
- تاريخ عمارة الحرم المكي الشريف — الأستاذة فوزية حسين مطر
- نظام الحسبة في العراق.. حتى عصر المأمون — الأستاذ رشاد عباس معتوق
- افتراءات فليب حتى، وبروكلمان على التاريخ الإسلامي — الأستاذ عبد الكريم علي باز

كتاب للأطفال

لكل حيوان قصة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

صدر منها :

- القرد..
- الضب
- الثعلب
- الكلب
- الغراب
- الأرنب
- السلحفاة
- الجمل
- الذئب
- الأسد
- البغل
- الفأر..
- الحمار الأهلي
- الفراشة
- الخروف
- الفرس
- الدجاج
- البط
- الغزال
- الحمار الوحشي
- الببغاء
- الوعل
- الجاموس
- الحمامة

كتاب الناشئين

وطني الحبيب

صدر منها:

- جدة القديمة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق

تحت الطبع:

- حدة الحديثة — الأستاذ يعقوب محمد اسحاق
- حكايات للأطفال — الأستاذ عزيز ضياء
- قصص للأطفال — الأستاذة فريدة فارسي

كتب صدرت باللغة الانجليزية

Books Published in English By Tihama

- Surgery of Advanced Cancer of Head and Neck.
  By F. M. Zahran
  A.M.R. Jamjoom
  M.D. EED
- Zaki Mubarak: A Critical Study.
  By Dr. Mahmud Al Shihabi
- Summary of Saudi Arabian
  Third Five year Development Plan
- Education in Saudi Arabia, A Model with Difference
  By Dr. Abdulla Mohamed Al-Zaid.
- The Health of the Family in A Changing Arabia
  By Dr. Zohair A. Sebai
- Diseases of Ear, Nose and Throat
  Dr. Amin A. Siraj
  Dr. Siraj A. Zakzouk
- Shipping and Development in Saudi Arabia
  By Dr. Bahha Bin Hussain Azzee
- Tihama Economic Directory.
- Riyadh Citiguide.
- Banking and Investment in Saudi Arabia.
- A Guide to Hotels in Saudi Arabia.



المؤلف

- ولد في مكة المكرمة عام ١٣٣٥هـ وتلقى علومه بالمسجد الحرام وبالمعهد العلمي السعودي وعلى أساتيذ خصوصيين.
- ابتعث إلى القاهرة عام ١٣٥٦هـ حيث التحق بكلية دار العلوم .. ثم عاد دون أن يكمل تعليمه بها ..
- أسس وأصدر جريدة "عكاظ" الأسبوعية عام ١٣٧٩هـ ورأس تحريرها حتى عام ١٣٨٤هـ .. ثم قام بتأسيسها في عهد المؤسسات في العام نفسه حيث صدرت يومية.
- أصدر مجلة "كلمة الحق" في عام ١٣٧٦هـ.
- أصدر حوالي ٧٠ كتابًا بين تأليف وتحقيق، ومن أهم الكتب التي حققها "معجم الصحاح" للجوهري و"ليس في كلام العرب" لابن خالويه.
- ترجم بعض روائع القصص العالمي حيث نشرت له ترجمة قصة "الزنابق الحمر" لرابندرانات طاغور شاعر الهند الأكبر، ومسرحية "المفتش" لنيقولا جوجول.
- من أهم مؤلفاته "موسوعة الديانات والعقائد في مختلف العصور" ويقع في ٤ أجزاء ضخمة في أربعة مجلدات.

شركة